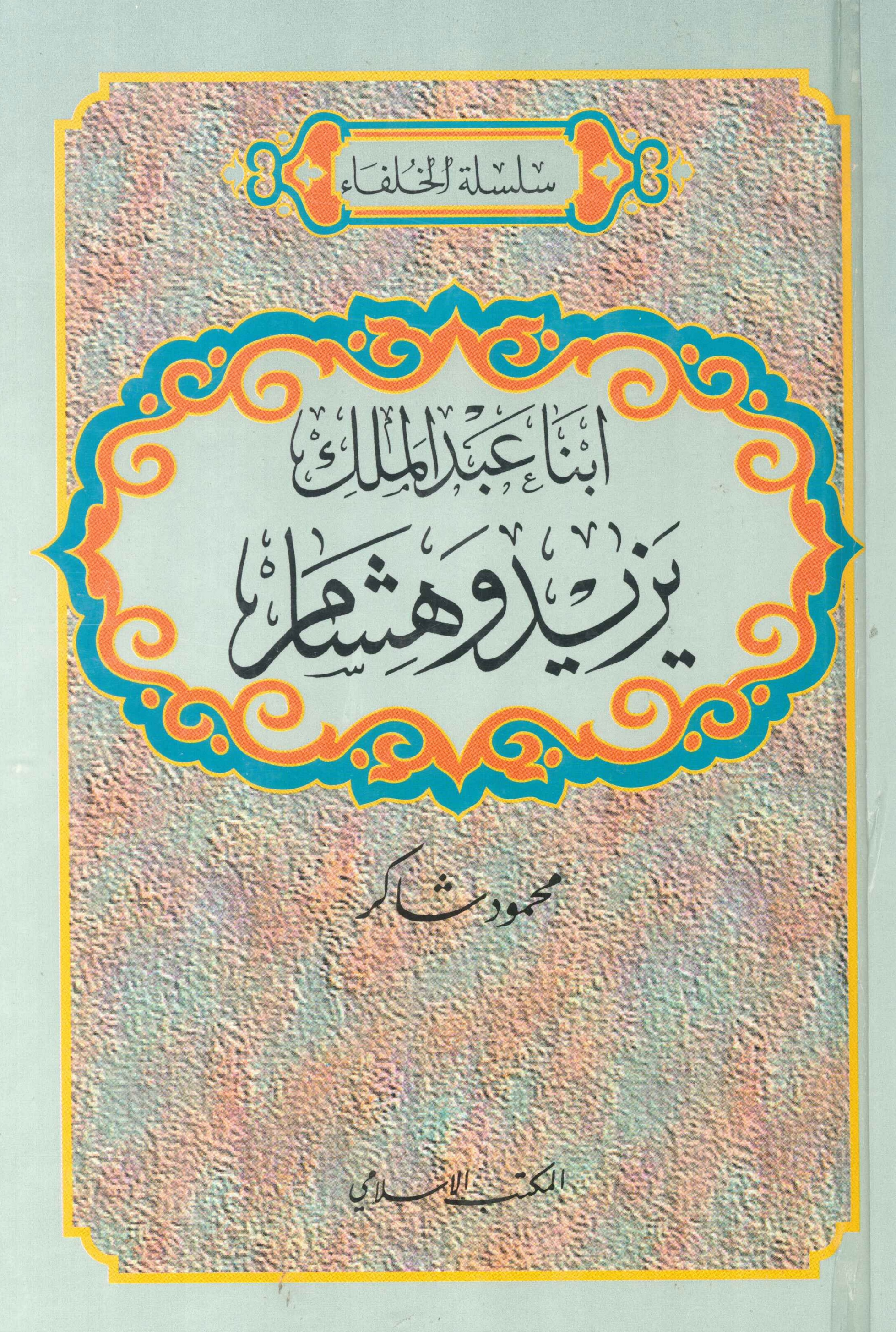
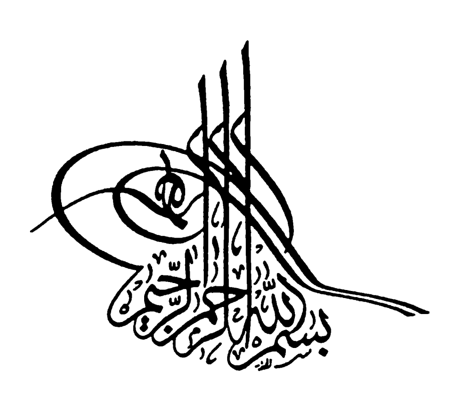

سلسلة الخلفاء
ابنا عبد الملك
يزيد وهشام
محمود شاكر
المكتب الإسلامي


ابنا عبد الملك
يزيد وهشام


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة الخلفاء

١٢ - ١٣



يزيد بن عبد الملك ١٠١ - ١٠٥ هـ

هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥ هـ

محمود شاكر

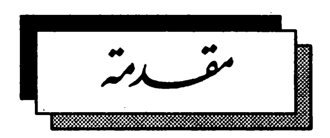
المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد**:

فإن الترف مذموم، ونتائجه ليست مرضية، وقد ورد الترف في كتاب الله في ثمانية مواضع كلها في موضع الذم والعاقبة الوخيمة.

١" - ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

٢" - ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

٣" - ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأنبياء: ١١ - ١٣].

٤" - ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ

ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣٣].

٥" ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [المؤمنون: ٦٤].

٦" ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ: ٣٤].

٧" ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

٨" ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الواقعة: ٤٥ ـ ٤٦].

فمن نشأ في الترف وتربّى عليه فقد استعذب الحياة الدنيا، وارتبط بها، وتمسّك بها، وغرّته بمفاتنها، وأغوته بزينتها، وخاض فيها، فغبّ من مناهلها، واغترف من مائها، وضمّ إليه ما استطاع ضمّه، وجمع ما أمكنه جمعه، حتى أثقله الجمع، وأضناه الضمّ، وأتعبه ما يجد، فإن أراد الخروج مما وقع فيه تمسّكت به دنياه، وأعادته شهوته، وأرجعته رغبته، وجذبه طمعه، وتعلّق به أمله، فبقي في مكانه

يُغالب الدنيا وتُغالبه، يهمّ بها، وتهمّ به حتى أتى ما كتب الله عليه.

لقد وطّد عبد الملك بن مروان ملكه بعد أن آلت إليه الخلافة بمقتل عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، وبسط سلطانه فنشأ أبناؤه في نعمةٍ، ونسوا بعد مدةٍ الصراع الذي كان، والخلافات التي هزّت الأمّة، وكانت في نفس كل مسلمٍ تُحرّكها لا تدعها تستقرّ ولا تتركها تطمئن.

وجاء الوليد بن عبد الملك فامتدّت الفتوحات، وقد توحّدت الأمة، واتجهت نحو هدفها، وانطلق أبناؤها للجهاد، فتوسّعت ديار الإسلام، وكانت الانتصارات في مختلف الجبهات، وفي كل الساحات، فجاءت الغنائم تتوالى أحمالاً، وقَدِم السبي يتتابع أرتالاً فساد النعيم، ثم انقلب ترفاً، فغاصت به جماعة، وخاضت أخرى، وغبّ منه فريق، واغترف ثانٍ، وذاق منه قوم، وامتنع آخرون، وعاشت البقية على شرفاتٍ عاليةٍ يأتيها وابل طيّب غدقاً.

وجاء سليمان بن عبد الملك فهدأت موجة التدفّق، وركن الناس، وسار الركب يتلفّت بعضهم إلى الماضي فيحلم، وينظر إلى المستقبل فيأمل، وكانت

هزّات خفيفة، غير أن المركب ثابت فبناؤه متين، وصنعه محكم، وكان قدراً مقدوراً.

وأتى عمر بن عبد العزيز فعمل جاهداً لإرساء القواعد، وأعطى من نفسه القدوة، والخير في النفوس مغروس، فاستنشق الناس العطر، وشمّوا روائح السلف، ونَعِموا بفضل الله، ويا لسعادة المجتمع عندما يتّبع سبيل المؤمنين، وسار عمر إلى سبيله.

وتولّى يزيد بن عبد الملك، وسنرى سيره، وعسى أن يهدينا الله لنُقدّم عهده بصدقٍ، فلا نُغدق عليه بما لا نرضى، ولا نبخسه من حقه.

اللّهمّ وفّقنا إلى الخير، وجنّبنا الزلل، واكتبنا مع الصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة المحرم ١٤٢١هـ

محمود شاكر

الباب الأول

يزيد بن عبد الملك

١٠١ - ١٠٥ هـ

الفصل الأول

يزيد بن عبد الملك قبل الخلافة

ولد يزيد بن عبد الملك سنة إحدى وسبعين في وقتٍ كان أبوه على خلافٍ مع الخليفة عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، ويدّعي أبوه الخلافة، وأنه ورثها عن أبيه مروان بن الحكم. ولكن لم يلبث أن كانت الغلبة إلى عبد الملك، فقُتل عبد الله بن الزبير، وبويع عبد الملك بالخلافة، فدان له الأمر، فبسط سلطانه، ووطّد أركانه، وبعث أمراءه.

لم يُدرك يزيد بن عبد الملك شيئاً من هذه المعاناة، وأيام الخلاف، وزمن الصراع، وإنما نشأ في وقت العزّ، وعهد الاستقرار، فتربّى على الترف، وخاصةً أن أمّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فهي ابنة خليفةٍ ابن خليفةٍ، وهذا ما جعل والده عبد الملك يزيد من اهتمامه به، ورعايته له. فأبناء الملوك لهم عناية خاصة، ويُتوقّع لهم النبوغ، ويُنتظر منهم الإمكانات والعطاء.

وتوفّي عبد الملك بن مروان والد يزيد يوم الجمعة في النصف من شعبان سنة ستٍ وثمانين، فكان عمر يزيد يومذاك لا يتجاوز الخامسة عشرة، فهو في سنٍّ صغيرةٍ لم يتمرّس فيها على إدارةٍ، ولم يتدرّب على سياسةٍ، لم يختلط بالكبار، ولم تعلّمه الأيام. وإن أوصى والده عبد الملك به أخاه الوليد الخليفة من بعده، فقال له: لا تنسَ أبناء عاتكة، أي يزيد، ومروان.

وبقي يزيد في ظلّ السلطان في عهد أخيه الوليد. وتزوّج ابنة محمد بن يوسف الثقفي أمير اليمن أخي الحجاج، سنة تسعٍ وثمانين، فكان عمر يزيد يومذاك ثماني عشرة سنةً. وتوفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين.

وتولّى الخلافة سليمان بن عبد الملك بعد أخيه، ولم يتغيّر وضع يزيد إذ استمرّ في ظلّ السلطان، وخرج حاجّاً سنة ثمانٍ وتسعين، وتزوّج بالمدينة سَعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان على عشرة آلاف دينارٍ. كما اشترى في المدينة حظيةً من عثمان بن سهل بن حنيف، بأربعة آلاف دينار، وتُسمّى العالية، وتُعرف باسم ـ حَبَابة ـ. فقال له أخوه سليمان: هممت أن أحجر على يديك، فباعها لِرجلٍ من أهل مصر.

وعندما حضرت الوفاة سليمان بن عبد الملك سأل رجاء بن حيوة فيمن يولّي بعده، فقال: من ترى؟ فقال رجاء: رأيك يا أمير المؤمنين.

قال سليمان: فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟

قال رجاء: أعلمه ـ والله ـ خيّراً فاضلاً مسلماً يحبّ الخير وأهله، ولكن أتخوّف عليك إخوتك أن لا يرضوا بذلك.

قال سليمان: هو ـ والله ـ على ذلك.

وأشار رجاء أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز، ليرضى بذلك بنو مروان، ويزيد في ذلك العام، وهو تسع وتسعون، على الموسم يقيم للناس حجهم. فكتب سليمان: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله ـ سليمان بن عبد الملك ـ لعمر بن عبد العزيز، إني قد ولّيته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتّقوا الله ولا تختلفوا، فيطمع فيكم عدوّكم. وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسيّ صاحب الشرطة، فقال له: اجمع أهل بيتي فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوماً، فمن أبَى منهم فاضرب عنقه. فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلّموا على أمير المؤمنين، فقال لهم: هذا الكتاب

عهدي إليكم، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من ولّيت فيه، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً.

وتوفّي سليمان بن عبد الملك، وبويع عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشرٍ خلت من صفر سنة تسعٍ وتسعين. وأصبح يزيد بن عبد الملك ولياً للعهد وعمره ثمانٍ وعشرين سنةً. وكان مقدماً لا يبدو عليه الإساءة، كما حاول بعضهم أن يتّهمه، ولو كان ذلك لعمل عمر بن عبد العزيز على خلعه.

واشتكى عمر بن عبد العزيز المرض لهلال رجب سنة إحدى ومائة، وكان شكواه عشرين يوماً. وكتب حين مرض إلى وليّ عهده يزيد بن عبد الملك: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى يزيد بن عبد الملك: السلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إلٰه إلّا هو. أما بعد؛ فإني كتبت إليك وأنا دنف من وجعي، وقد علمت أني مسؤول عما وُلّيت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أُخفي من عملي شيئاً، يقول تعالىٰ فيما يقول: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾[1].

فإن يرضى عني الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهوان

---

(١) سورة الأعراف: ٧.

الطويل، وإن سخط عليّ فيا ويح نفسي إلى ما أصير. أسأل الله الذي لا إلٰه إلّا هو أن يُجيرني من النار برحمته، وأن يمنّ عليّ برضوانه والجنّة. وعليك بتقوى الله. والرعية الرعية فإنك لن تبقى بعدي، إلّا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير، والسلام.

وعن عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى يزيد بن عبد الملك: إياك أن تدركك الصرعة عند الغرّة فلا تُقال العثرة، ولا تُمكّن من الرجعة يحمدك من خلّفت بما تركت، ولا يعذرك من تُقدم عليه بما اشتغلت به والسلام.

وعن محمد بن أبي عُيينة المهلبي قال: قرأت رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك: سلام الله وبركاته عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلّا هو، أمّا بعد: فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عباد الله قبضه الله واستخلفني وبايع لي من قبله وليزيد بن عبد الملك إن كان من بعدي، ولو كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواجٍ أو اعتقاد أموالٍ كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحدٍ من خلقه، ولكني أخاف حساباً شديداً، ومسألةً لطيفةً إلّا ما أعان الله عليه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

الفصل الثاني

خلافة يزيد بن عبد الملك

بويع ليزيد بن عبد الملك بعهدٍ من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي الأمر من بعد ابن عمه عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر بن عبد العزيز في رجب السنة الواحدة بعد المائة بايع الناس يزيد بيعةً عامةً، وعمره تسع وعشرون سنة.

عزل يزيد بن عبد الملك عن المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وولّى مكانه عبد الرحمٰن بن الضحاك بن قيس، فجرت بين يزيد وبين أبي بكر بن محمد ضغائن.

وخرج شوذب[1] بالعراق على يزيد. وكان شوذب

---

(١) شوذب هو بسطام اليشكري، ثائر خارجي، ثار أيام عمر بن عبد العزيز، ثم توقّف القتال بين الفريقين، وأرسل شوذب وفداً إلى عمر بن عبد العزيز لمناظرته بناءً على رأي عمر. فلما كانت أيام يزيد تجدّد القتال، وقُتل شوذب سنة واحدةٍ ومائةٍ.

قد خرج من قبل أيام عمر بن عبد العزيز في موضعٍ يقال له: «جوخى» قرب الكوفة، ولم يكن عدد أتباعه ليزيد على الثمانين رجلاً أكثرهم من ربيعة. فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب[1] يأمره أن يدعوهم إلى العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، فلما أعذر في دعوتهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزمتهم الخوارج، فبلغ ذلك عمر، فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك في جيشٍ من أهل الشام جهّزهم من الرقّة، وكتب إلى عبد الحميد: قد بلغني ما فعله جيشك، جيش السوء، وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك، فخلِّ بينه وبينهم. فلقيهم مسلمة في أهل الشام فأظهره الله عليهم.

---

(١) عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب الإمام الثقة، الأمير العادل، أبو عمر العدويّ، الخطابي، المدني، الأعرج، وله أخوان: أسِيد وعبد العزيز، ولي إمرة الكوفة لعمر بن عبد العزيز.
روى عن عبد الله بن عباس، ومحمد بن سعد، ومسلم بن يسار، ومِقْسَم.
وحدّث عنه ابناه: عمر، وزيد، والزهري، وزيد بن أبي أنيسة، وعبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر.
أجازه عمر بن عبد العزيز بعشرة آلاف.
مات بـ «حرّان» سنة عشرةٍ ومائة، وهو قليل الرواية، كبير القدر.

وذُكر أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد، ألا تُحرّكهم إلّا أن يسفكوا دماً، أو يُفسدوا في الأرض، فإن فعلوا فحُل بينهم وبين ذلك، وانظر رجلاً صلباً حازماً فوجّهه إليهم، ووجّه معه جنداً، وأوصه بما أمرتك به. فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البَجَلي في ألفين من أهل الكوفة، وأمره بما أمره به عمر، وكتب عمر إلى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وقد قدم عليه محمد بن جرير، فقام بإزائه لا يُحرّكه، ولا يُهيّجه، فكان في كتاب عمر إليه: إنه بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيّه، ولست بأولى بذلك منّي، فهلمّ أُناظرك؛ فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا، فلم يُحرّك بسطام شيئاً، وكتب إلى عمر: قد أنصفت وقد بعثت إليك رجلين يُدارسانك ويُناظرانك.

أرسل بسطام نفراً من جماعته إلى عمر، فقال لهم عمر: اختاروا منكم رجلين، فاختاروا اثنين، فدخلا عليه فناظراه، فقالا له: أخبرنا عن يزيد لِمَ تقره خليفةً بعدك؟ قال: صيّره غيري، قالا: أفرأيت لو وُلّيت مالاً لغيرك ثم وكّلته إلى غير مأمونٍ عليه، أتراك كنت أدّيت الأمانة إلى من ائتمنك! فقال: أنظراني ثلاثاً، فخرجا

من عنده. فمات عمر في هذه الأثناء، واستبطأ الخوارج عودة أصحابهم فأخذوا بالتحرّك دون هجومٍ وسفك دماءٍ، فكتب عبد الحميد بن عبد الرحمٰن إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه، ولم ترجع رسل شوذب، ولم يعلم بموت عمر، فلما رأى الخوارج محمد بن جرير يستعدّ للحرب أرسل إليه شوذب: ما أعجلكم قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم، أليس قد تواعدنا إلى أن ترجع الرسل! فأرسل إليهم محمد: إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة، وقال الخوارج: ما فعل هؤلاء هذا إلّا وقد مات الرجل الصالح. فبرز لهم شوذب، فاقتتلوا، فأُصيب من الخوارج نفر، وكَثُر القتل في أصحاب محمد بن جرير، وانهزموا، والخوارج في أعقابهم تقتل منهم حتى بلغوا أخصاص الكوفة، ولجؤوا إلى عبد الحميد، وجُرح محمد بن جرير في أُسته، ورجع شوذب إلى موضعٍ فأقام ينتظر رسله. فرجعوا إليه وأخبروه أن عمر بن عبد العزيز قد مات.

أقرّ يزيد بن عبد الملك على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمٰن، ووجّه من قبله تميم بن الحُباب في ألفين، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يُفارقهم على ما فارقهم عليه عمر، فلعنوه، ولعنوا يزيد، فحاربهم فقتلوه، وهزموا أصحابه، فلجأ بعضهم إلى الكوفة،

ورجع الآخرون إلى يزيد، فوجّه إليهم نجدة بن الحكم الأزديّ في جمع فقتلوه، وهزموا أصحابه، فوجّه إليهم الشّحاج بن وداع في ألفين، فراسلهم وراسلوه، فقتلوه وقتل منهم نفراً فيهم هُدبة اليشكري، ابن عم شوذب، وفيهم أبو شُبيل مقاتل بن شيبان، وكان مقدماً عندهم.
فقال أبو ثعلبة أيوب بن خَوَليّ يرثيهم:

تركنا تميماً في الغبار مُلَحّباً
تُبكّى عليه عِرْسُه وقرائبه
وقد أسلمت قيس تميماً ومالكاً
لما أسلم الشّحّاج أمس أقاربه
وأقبل من حرّان يحمل رايةً
يُغالب أمر اللّه واللّه غالبه
فيا هُذْبَ للهيجا، ويا هُذْبَ للندى
ويا هُذْبَ للخصم الألدّ يحاربه
ويا هدب كم ملحمٍ قد أجَنْتَه
وقد أسلمته للرماح جوالبه
وكان أبو شيبان خير مُقاتلٍ
يُرجّى ويخشى بأسَه من يحاربه
ففاز ولاقى اللّه بالخير كلّه
وخذّمه بالسيف في اللّه ضاربه

تـزوّد مـن دنـيـاه دِرعـاً ومـغـفـراً
وعـضـبـاً حـسـامـاً لـم تـخـنـه مـضـاربـه
وأجـرد مـحـبـوك الـسـراة كـأنـه
إذا انقضّ في الريش حُجْنٌ مخالبه

ثم جاء مسلمة بن عبد الملك بأمر أخيه يزيد، فلما دخل الكوفة شكا إليه أهلها مكان شوذب، وخوفهم منه، وما قد قتل منهم، فجهّز مسلمة جيشاً قوامه عشرة آلف بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي[1]، وكان فارساً، ووجّهه إلى شوذب، وهو مقيم بموضعه. فقال شوذب لأصحابه: من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة، ومن كان إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا، وإنما البقاء في الدار الآخرة، فكسروا أغماد سيوفهم، وحملوا، فكشفوا سعيداً وأصحابه مرات، حتى خاف

---

(١) سعيد بن عمرو الحرشي: قائد، من الولاة الشجعان، من أهل الشام، قتل شوذب الخارجي عام ١٠١هـ. ولّاه ابن هبيرة خراسان عام ١٠٣هـ، ثم بلغ ابن هبيرة أنه يكاتب الخليفة ولا يعترف بإمارته، فعزله وسجنه، ثم أخرجه من السجن خالد القسري وأكرمه، ثم عاد إلى الشام، وولّاه هشام بن عبد الملك قتال الخزر عام ١١٢هـ، ثم أمره هشام بالعودة إليه، فعاد. كان تقياً بطلاً، وصفه ابن هبيرة بفارس ربيعة. ونسبته إلى الحريش بن كعب بن ربيعة، وقد ولد بأرمينية.

الفضيحة فذمّر أصحابه، وقال لهم: أمن هذه الشرذمة ـ لا أبا لكم ـ تفرّون! يا أهل الشام يوماً كأيامكم.

فحمل سعيد ومن معه على الخوارج حملةً جادةً فطحنوهم طحناً لم يُبقوا منهم أحداً، وقتلوا شوذب وفرسانه، منهم الريان بن عبد الله اليشكري، وكان من المقدّمين عندهم، وقد رثاه أخوه شِمر بن عبد الله اليشكري، فقال:

ولقد فُجِعتُ بسادةٍ وفوارسٍ
للحرب سُعرٍ من بني شيبان
اعتاقَهم ريب الزمان فغالهم
وتركت فرداً غير ذي إخوان
كمِداً تجلجل في فؤادي حسرةٌ
كالنار من وجدٍ على الرّيّان
وفوارس باعوا الإلٰه نفوسهم
من يَشْكُرٍ عند الوغى فرسان

وقال حسّان بن جعدة يرثيهم:

يا عين أذري دموعاً منك تسجاما
وابكي صحابةَ بسطام وبسطاما
فلن تريْ أبداً ما عشتِ مُثْلَهُمُ
أتقى وأكمل في الأحلام أحلاما

بسيّهم قد تأسّوْا عند شدّتهم
ولم يريدوا عن الأعداء إحجاما
حتى مضوا للذي كانوا له خرجوا
فأورثونا منارات وأعلاما
إني لأعلم أن قد أُنزلوا غُرفاً
من الجنان ونالوا ثَمّ خُدّاما
أسقى الإله بلاداً كان مصرعهم
فيها سحاباً من الوَسْميّ سجّاما

يزيد بن المهلب:

كان يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة والياً على البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز، وولّى مكانه عدي بن أرطأة، ثم إن عمر بن عبد العزيز قد سجنه، ثم رأى أن ينفيه إلى جزر (دهلك) في البحر الأحمر مقابل ميناء (مصوع) في أريتريا. فكلّمه بعضهم به، وقيل له: إنا نخشى أن ينتزعه قومه، فردّه إلى سجنه، فلم يزل فيه حتى بلغه مرض عمر، فأخذ يعمل بعد ذلك للهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك لأنه كان قد عذّب أصهاره آل أبي عقيل ـ كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف الثقفي عند يزيد بن

عبد الملك[1]، فولدت له الوليد بن يزيد ـ فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعنّ منه طابقاً فكان يخشى ذلك، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه، فأعدّوا له إبلاً، وكان مرض عمر بن عبد العزيز في دير سمعان، فلمّا اشتدّ مرض عمر أمر يزيد بإبله فأُتي بها، فلما تبيّن له أنه قد ثقُل نزل من محبسه، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه، فلم يجدهم جاءوا، فجزع أصحابه وضجروا، فقال لأصحابه: أترونني أرجع إلى السجن! لا والله لا أرجع إليه أبداً. ثم إن الإبل جاءت، فاحتمل، فخرج ومعه امرأته عاتكة ابنة الفرات بن معاوية العامرية من بني البكاء في شق المحمل، فمضى.

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من حبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك. فقال عمر: اللّهمّ إن كان يزيد يريد بهذه الأمّة شرّاً فاكفهم شرّه، واردد كيده في نحره. ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزقاق، وفيه

---

(١) هذا أمر جانبيّ فقد كانت أخت يزيد بن المهلب عند الحجاج، ولكن كانت إحن وضغائن بين الاثنين.

الهذيل بن زفر معه قيس، فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم، فأصابوا طَرَفاً من ثَقَله وغِلْمة من وصفائه، فأرسل الهذيل بن زفر في آثارهم، فردّهم، فقال: ما تطلبون؟ أخبروني، أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتَبْل؟ فقالوا: لا. فقال: فما تريدون؟ إنما هو رجل كان في إسارٍ، فخاف على نفسه فهرب.

لما بلغ يزيد بن عبد الملك هرب يزيد بن المهلّب كتب إلى عامل الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمٰن يأمره أن يطلبه ويستقبله، وكتب إلى عامل البصرة عدي بن أرطأة يعلمه بهربه، ويأمره أن يتهيّأ لاستقباله، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته.

أخذ عدي بن أرطأة آل المهلّب في البصرة وسجنهم، وفيهم المفضّل، وحبيب، ومروان بنو المهلب.

وأقبل يزيد بن المهلّب حتى مرّ بسعيد بن عبد الملك بن مروان، فقال يزيد لأصحابه: ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا! فقال أصحابه: لا، بل امضِ بنا ودعه. وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القُطقُطانة[1]، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمٰن إليه

---

(١) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف.

هشام بن مساحق في ناسٍ من أهل الكوفة من الشُّرَط ووجوه الناس وأهل القوّة، فقال له: انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمرّ بجانب العُذيب. فمشى هشام قليلاً ثم رجع إلى عبد الحميد، فقال: أجيئك به أسيراً أم آتيك برأسه؟ فقال: أيّ ذلك ما شئت. وجاء هشام حتى نزل العُذيب، ومرّ يزيد غير بعيدٍ عنهم، فاتّقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، وقد جمع عدي بن أرطأة أهل البصرة، وخندق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وكان عدي بن أرطأة، رجلاً من بني فزارة.

قال عبد الملك بن المهلب لعدي بن أرطأة: خذ ابني حميداً فاحبسه مكاني، وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة، حتى يأتي فارساً، ويطلب لنفسه الأمان، ولا يقربك، فأبى عليه. وجاء يزيد بن المهلب ومعه أصحابه الذين أقبل فيهم، والبصرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلّب ـ ولم يكن ممن حُبس ـ رجالاً وفتيةً من أهل بيته وناساً من مواليه، فخرج حتى استقبله، فأقبل في كتيبةٍ تهول من رآها، وقد دعا عدي أهل البصرة، فبعث على كل خمسٍ من أخماسها رجلاً، فبعث على خمس الأزد: المغيرة بن زياد بن

عمرو العتكي، وبعث على خمس بني تميم: محرز بن حمران السعدي من بني مِنْقَر، وعلى خمس بكر بن وائل: عمران بن عامر بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة. فقال أبو مِنْقَر ـ رجل من قيس بن ثعلبة ـ: إن الراية لا تصلح إلّا في بني مالك بن مسمع، فدعا عدي نوحَ بن شيبان بن مالك بن مسمع، فعقد له على بكر بن وائل، ودعا مالكَ بن المنذر بن الجارود، فعقد له على بني عبد القيس، ودعا عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشيّ، فعقد له على أهل العالية.

وأقبل يزيد بن المهلب لا يمرّ بخيلٍ من خيلهم ولا قبيلةٍ من قبائلهم إلّا تنحّوا له عن السبيل حتى يمضي، واستقبله المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل، فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه. وأقبل يزيد حتى نزل داره، واختلف الناس إليه، وأخذ يبعث إلى عدي بن أرطأة أن ابعث إليّ إخوتي وأنا أصالحك على البصرة، وأُخلّيك وإياها حتى آخذ لنفسي ما أحب من يزيد بن عبد الملك، فلم يقبل منه.

وخرج حميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك، فبعث معه يزيد بن عبد الملك

خالد بن عبد الله القسريّ وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته. وأخذ يزيد بن المهلب يعطي من أتاه من الناس، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة، فمال الناس إليه، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدي بن أرطأة حين نزع منه رايته، راية بكر بن وائل، وأعطاها ابن عمّه، ومالت إلى يزيد ربيعة وبقية تميم وقيس، وناس بعد ناس فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع، ومعه ناس من أهل الشام، وكان عدي لا يُعطي إلّا درهمين درهمين، ويقول: لا يحلّ لي أن أعطيكم من بيت المال درهماً إلّا بأمر يزيد بن عبد الملك، ولكن تبلّغوا بهذا حتى يأتي الأمر في ذلك.

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدي فنزلوا المِرْبد، فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولىً له يقال له دارس، فحمل عليهم فهزمهم.

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع إليه الناس، حتى نزل جبّانة بني يشكر ـ وهو المنصف فيما بينه وبين القصر ـ وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشام، فاقتتلوا هنيهةً، فحمل عليهم محمد بن المهلب فهزمهم، وأقبل يزيد بن المهلب في أثر القوم حتى دنا من القصر،

فقاتلهم، وخرج إليه عديّ بن أرطأة بنفسه، فانهزم أصحاب عديّ، وسمع إخوة يزيد بن المهلب وهم في سجن عدي، سمعوا الأصوات تدنو، والنشّاب تقع في القصر، فقال لهم عبد الملك: إني أرى النشّاب تقع في القصر، وأرى الأصوات تدنو، ولا أرى إلّا يزيد قد ظهر، وإني لا آمن من مع عدي من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً، ففعلوا فلم يلبثوا إلّا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عامر، ـ وكان على حرس عدي ـ فجاء يشتدّ إلى الباب هو وأصحابه، وقد وضع بنو المهلّب متاعاً على الباب، ثم اتّكأوا عليه، فأخذ الآخرون يُعالجون الباب، فلم يستطيعوا الدخول، وأعجلهم الناس، فخلّوا عنهم.

وجاء يزيد بن المهلب فنزل دار سلْم بن زياد بن أبي سفيان إلى جانب القصر، وأُتي بالسلالم، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر، وأُتي بعدي بن أرطأة، فحبسه يزيد بن المهلب، وقال له: أما إن حبسي إياك ليس إلّا لحبسك بني المهلب وتضييقك عليهم فيما كنّا نسألك التسهيل فيه عليهم، فلم تكن تألو ما عسّرت، وضيّقت، وخالفت، فلما سمع عديّ هذا القول كأنه أمن على نفسه.

فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رؤوس أهل البصرة من قيسٍ وتميمٍ ومالك بن المنذر، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمٰن بالكوفة، ولحق بعضهم بالشام.

وألقى عبد الحميد بن عبد الرحمٰن على خالد بن يزيد بن المهلب، وهو بالكوفة، وعلى حمّال بن زَحْر الجعفي فأوثقهما وسرّحهما إلى يزيد بن عبد الملك بالشام، كما بعث عبد الرحمٰن بن سليم بحميد بن عبد الملك بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك فحبس يزيد هؤلاء في السجن، فبقوا فيه حتى هلكوا.

بعث يزيد بن عبد الملك رجالاً من أهل الشام إلى الكوفة يُهدّئونهم، ويثنون عليهم بطاعتهم، ويُمنّونهم الزيادات.

وأرسل يزيد بن عبد الملك إلى الكوفة العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف فارس، فوصلوا إلى الحيرة ويزيد بن المهلب يريدها أيضاً. ثم تبع العباسَ عمُّه مسلمة بن عبد الملك بجنود أهل الشام.

وخرج يزيد بن المهلب من البصرة، واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلب، وأخذ معه السلاح وبيت

المال، فأقبل حتى نزل واسطاً، وأقام فيها عدة أيامٍ، ثم تركها، واستخلف عليها ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والخزائن، وسار للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد.

قدّم يزيد بن المهلب أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة فاستقبله العباس بن الوليد، واقتتل القوم، فشدّ أهل البصرة على أهل الشام حتى كشفوهم، فصرخ من فرّ من أهل البصرة من يزيد، والتحق بأهل الشام، فصرخوا: يا أهل الشام، الله... الله أن تسلمونا. وكرّ أهل الشام على أصحاب عبد الملك بن المهلب فدحروهم، وجاء عبد الملك حتى وصل إلى أخيه يزيد بن المهلب.

وكان يزيد بن المهلب مقابل مسلمة بن عبد الملك يفصل بينهما ماء، فقطع مسلمة وسعيد بن عمرو الحرشي الماء إليهم. وعزل مسلمة بن عبد الملك عن الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمٰن وولّى مكانه محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة.

بقي يزيد بن المهلب ثمانية أيامٍ مقابل مسلمة بن عبد الملك، فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة، أمر مسلمة بحرق الجسر،

فأُحرق وعبّى جنود أهل الشام، ثم ازدلف نحو يزيد بن المهلب، وقد جعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي، وعلى ميسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري. وجعل العباس بن الوليد على ميمنته سيف بن هانئ الهمداني، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي. وعلى الناس مسلمة بن عبد الملك.

وخرج يزيد بن المهلب وعلى ميمنته أخوه حبيب بن المهلب، وعلى ميسرته أخوه الآخر المفضّل بن المهلب، والتقى الجمعان، وقُتل حبيب بن المهلب، فلما بلغ الخبر أخاه يزيد، قال: لا خير في العيش بعد حبيب! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة، فوالله ما ازددت لها إلّا بُغضاً، امضوا قدماً.

استقتل يزيد بن المهلّب، وبقيت معه جماعة حسنة، فاندفع بها فكلما مرّ بخيل كشفها، أو بجماعةٍ من أهل الشام عدلوا عنه. وأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره، فعطفت عليه خيل أهل الشام فقُتل، وقُتل معه أخوه محمد بن المهلّب، والسميدع. وبقي المفضل بن المهلب يُقاتل أهل الشام، ثم تراجع نحو واسط.

ولما جاءت هزيمة يزيد بن المهلب إلى واسط، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلّب اثنين وثلاثين أسيراً

كانوا في يده، فضرب أعناقهم، منهم: عديّ بن أرطأة، ومحمد بن عديّ بن أرطأة.

سار معاوية بن يزيد بن المهلّب إلى البصرة ومعه المال والخزائن، ثم جاء المفضّل بن المهلب، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة، فجهّزوا أنفسهم، وحملوا عيالهم، وركبوا السفن، ومرّوا على البحرين، فقال لهم أميرها هَرِم بن القرار العبدي - وكان يزيد استعمله على البحرين -: أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم، فإن ذلك هو بقاؤكم، وإني أتخوّف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس. وحملوا عيالهم وأموالهم على الدواب، وأمّروا عليهم المفضل بن المهلب.

بعث مسلمة بن عبد الملك في طلب آل المهلب مدركَ بن ضبّ الكلبي، فلحق مدركٌ أصحابَ المفضّل فجرى قتال بين الفريقين فقتل المفضّل بن المهلب، والنعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث، وجُرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحةً شديدةً، وهرب حتى انتهى إلى حلوان، فدُلّ عليه، فقُتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة.

رجع أناس من أصحاب يزيد بن المهلب فطلبوا

الأمان فأُمنوا، منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر.

أمّا بقية آل المهلب فساروا حتى انتهوا إلى قندابيل، فسرّح مسلمة بن عبد الملك في أثرهم هلال بن أحوز التميمي من بني مازن فأدركهم، فجرى قتال بين الفريقين فقُتِل آلُ المهلبِ، ومنهم مروان بن المهلّب، والمفضّل بن المهلّب، ولم ينجُ من آل المهلب سوى أبي عيينة بن المهلّب، وعثمان بن المفضّل؛ حيث لحقا بخاقان الترك.

فلما انتهى أمر آل المهلب ولّى يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك على الكوفة والبصرة وخراسان. فولّى مسلمة على الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وولّى على البصرة عبد الرحمٰن بن سليم الكلبي ثم عزله بعبد الملك بن بشر بن مروان. وبعث إلى خراسان ختنه زوج ابنته، سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم، المعروف باسم «سعيد خذينة».

ثم إن يزيد بن عبد الملك قد عزل أخاه مسلمة بن عبد الملك لأنه لم يرفع إليه شيئاً من الخراج، ورجع مسلمة بن عبد الملك إلى الشام، وولّى مكانه عمرَ بن هبيرة.

خراسان:

عَزَل عمرُ بن هبيرة عن خراسان سعيدَ خذينة وولّى مكانه سعيدَ بن عمرو الحرشي، فقاتل الحرشي الصغد، ولكن ابن هبيرة عاد فعزل الحرشي لموجدة وجدها عليه، وهي أنه كان يستخفّ به، وولّى مكانه مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة.

إفريقية:

كان والي إفريقية يزيد بن أبي مسلم، فثار عليه بعض السكان لسيره فيهم سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي فقتلوه، وولّوا على أنفسهم محمد بن يزيد الذي كان واليهم قبل تولية يزيد بن أبي مسلم، وكتبوا إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة، ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه، وأعدنا عاملك. فكتب إليهم الخليفة إني لم أرضَ ما صنع يزيد بن أبي مسلم، وأقرّ محمد بن يزيد على إفريقية.

الأندلس:

عندما تولّى الخلافة يزيد بن عبد الملك كان أمير الأندلس السمح بن مالك الخولاني، وقد تسلّم الإمارة أيام عمر بن عبد العزيز في شهر رمضان سنة مائة للهجرة، وخرج للجهاد في بلاد الفرنجة فاستشهد في

شهر ذي الحجة سنة اثنتين ومائة، فتولّى الإمرة مكانه عبد الرحمٰن بن عبد الله الغافقي لمدة شهرين حتى جاء الوالي الجديد عنبسة بن سُحيم الكلبي في شهر صفر سنة ثلاثٍ ومائة. وقد استمرّت إمرته إلى أيام هشام بن عبد الملك حيث استشهد في جنوبي بلاد الفرنجة في شهر شعبان سنة سبعٍ ومائة، أي دامت ولايته على الأندلس أربع سنواتٍ وستة أشهر.

الحجاز:

وفي النصف من شهر ربيع الأول سنة أربعٍ ومائة عزل يزيد بن عبد الملك عن مكة والمدينة عبد الرحمٰن بن الضحاك بن قيس الفهري، وكان قد تولّى أمر المدينة ثلاث سنواتٍ، وأعطى ولاية الحجاز كله إلى أمير الطائف عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري فأقام بالمدينة، وقد أحبّه أهلها، وكان لا يقطع أمراً إلّا استشار فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

أرمينية وأذربيجان:

وكان الأمير على هذه المنطقة الجراح بن عبد الله الحكمي.

سنة	مكة	المدينة	الطائف	البصرة	الكوفة	خراسان	أرمينية	إفريقية	الأندلس
١٠١	عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد	عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عدي بن أرطأة بن يزيد بن المهلب	عبد الحميد بن عبد الرحمن	عبد الرحمن بن نعيم	الجراح بن عبد الله الحكمي	يزيد بن أبي مسلم	السمح بن مالك الخولاني
١٠٢	عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد	عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عمر بن هبيرة	عمر بن هبيرة	عمر بن هبيرة	الجراح بن عبد الله الحكمي	محمد بن يزيد	السمح بن مالك الخولاني
١٠٣	عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس	عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عمر بن هبيرة	عمر بن هبيرة	سعيد بن عمرو الحرشي	الجراح بن عبد الله الحكمي	بشر بن صفوان الكلبي	عنبسة بن سحيم الكلبي
١٠٤	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عمر بن هبيرة	عمر بن هبيرة	سعيد بن عمرو الحرشي	الجراح بن عبد الله الحكمي	بشر بن صفوان الكلبي	عنبسة بن سحيم الكلبي
١٠٥	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري	عمر بن هبيرة	عمر بن هبيرة	مسلم بن سعيد	الجراح بن عبد الله بن الحكمي	بشر بن صفوان الكلبي	عنبسة بن سحيم الكلبي

الفصل الثالث

الجهاد في عهد يَزيد بن عبد الملك

بعد موجة الفتوحات التي تمت أيام الوليد بن عبد الملك وصلت الغنائم إلى ديار الإسلام فزادت الأُعطيات، ووصل السبي كذلك، وقام بدور الإنتاج والاستثمار فأعطى مردوداً إضافياً لأفراد المجتمع، وفي الوقت نفسه تولّى أمر الخدمة فلم يبق مجال لعمل الرجل، كما لم يبق مجال لعمل المرأة، وبذا فُتحت الدنيا أمام المسلمين، فاتجهت بعض النفوس إليها، ومالت إلى الراحة، وأخلدت إلى الأرض، ونسيت المهمّة التي خُلقت من أجلها، وهي الدعوة إلى الله، وسكنت تنهل مما أتاها فراتاً، وتغبّ مما جاء سلسبيلاً، فتراخت الهمم، وتكاسلت النفوس.

وعمل عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على ضبط الأمور ضمن الإطار الشرعي، ووُفّق بعمله،

ونجح بمسعاه، غير أن أيامه لم تطل، ومخطّطه لم ينته، ومضى إلى غايته. وإذا كانت الجوانب المالية قد ضُبطت، وتيقّظت بعض الهمم، إلّا أن النفوس عامةً بقيت أقرب إلى الإخلاد نحو الأرض ما دامت مصادر الطيّبات متوفّرة وينابيع الراحة جاريةً، كما لم تكن مدة تحريك النفوس كافيةً، والعودة إلى أداء المهمة المناطة بالمؤمن واضحةً.

وجاء يزيد بن عبد الملك، ولم تتقدّم الأمور إلى الأمام بل بقيت على وضعها، إذ لم يستطع أن يُتابع ما سار عليه سلفه ابن عمّه عمر، وربما لم تكن له همّته، أو لم تكن له تلك الحماسة والشعور بالمسؤولية، والخوف من الحساب، لذا لم تتألّق فكرة الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله كما يجب أن تكون.

وإذا كان المسلمون قد فترت عندهم حركة الجهاد، واستقرّوا في ديارهم، وأخلدوا إلى الأرض، ووجدوا راحتهم فيها، إلّا أن الطرف الثاني، وهم الأعداء لم يجنحوا إلى ما جنح إليه المسلمون، بل كانوا لهم بالمرصاد، يتربّصون بهم الدوائر، ويتحيّنون بهم الفرص، وينتظرون ساعة ضعفٍ تظهر على المسلمين لينقضّوا عليهم. مع أنه كانت للمسلمين هيبة

في قلوب أعدائهم تحول بينهم وبين ما يحلمون، وتُضعف معنويات شعوب الأعداء مهما حاول رفعها المتزعّمون، ومهما سعى المغامرون في دبّ الحماسة عندهم، ورفع معنوياتهم، وإن كانت روح القتال تختلف بين جبهةٍ وأخرى، ولم يكن سوى جبهتين هما: الجبهة الشمالية، وهي جبهة الروم وأعوانهم من أرمنٍ، وخزرٍ، وبلغار، وصقالبة. والجبهة الشرقية، وهي جبهة الترك بقبائلهم المشتّتة ومناطقهم المختلفة وسط آسيا. هذا بالإضافة إلى الجهاد في الأندلس.

الجبهة الشمالية:

كان الروم يقومون بغاراتٍ على ديار الإسلام لإثبات وجودهم وبقاء دولتهم قويةً، وحتى لا يندفع المسلمون في أرض الروم من جديدٍ. غير أن فكرة الجهاد قد ضعفت عند المسلمين، وفكرة العمل على نشر الدعوة قد فترت من ناحيةٍ ثانيةٍ، ولكنه لا بدّ من الردّ على هذه الغارات، وفي الوقت نفسه كان لا بدّ من ردع الروم بل وتأديبهم على جرأتهم. لذا كان الردّ على غارات الروم مباشرةً، وتحصين الثغور باستمرار، والتوغّل في أرض الروم. وكان الروم غالباً ما يُهزمون ويُولّون الأدبار رغم أن القتال في بلادهم؛ وذلك لهيبة

المسلمين في نفوسهم، وخوفهم منهم لتجربتهم معهم.

غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية سنة اثنتين ومائة.

وغزا العباس بن الوليد بن عبد الملك الروم سنة ثلاثٍ ومائة.

وغزا أمير أرمينية وأذربيجان الجراح بن عبد الله الحكمي الترك، وفتح مدينة (بلنجر).

وغزا سعيد بن عبد الملك بن مروان الروم سنة خمسٍ ومائة، فبعث سريةً في نحوٍ من ألف مقاتلٍ فأُصيبوا جميعاً.

ومن المؤسف أن هذا الغزو لم يكن يحمل معنى الجهاد، ولم يهدف إلى الدعوة ونشر الإسلام، بل كان للردّ على الغارات، وإخافة الروم، والحصول على الغنائم.

الجبهة الشرقية:

كان الترك كلما ظنّوا بأنفسهم القوّة، أو رأوا المسلمين في شُغلٍ عنهم تحرّكوا عصبيةً وحقداً، كي ينالوا من المسلمين، أو ثأراً حسب رأيهم، حتى لا يدفعوا ما فُرض عليهم، ويضطر المسلمون أن يجمعوا

لهم، ويسيروا إليهم، ويُجبروهم على دفع ما امتنعوا عنه، بل غالباً ما يزيدون عليهم عقوبةً على فسادهم وما جنته أيديهم، وتأديباً لهم حتى لا ينهضوا كما قاموا في المرة الأولى، غير أن الحقد يزداد، والرغبة في الثأر تتوقّد، والعصبية تظهر. وتتكرّر العمليات، فما من والٍ يأتي إلى خراسان إلّا ويُواجه حركةً في أول أمره، فكأن الأعداء يريدون جسّ نبضه، أو يختبرونه؛ فإن بدا لهم قوياً خنعوا، وإن ظهر لهم ضعف فيه تحرّكوا، ولكن لم تلبث أن تصل إليه القوة من مركز الخلافة، فيضطر الثائرون إلى التراجع بعد أن تحلّ بهم الهزيمة، وهم بالأصل قد نظروا إلى والي خراسان، واستعدّوا لمواجهته، ولم يحسبوا حساباً لأمّته، بل لولايته فقط.

وكان الترك موزّعين أيضاً، ومناطقهم مجزّأة بينهم، ولكن كان يدعم بعضهم بعضاً إن رأى أحدهم طرفاً في إمكانية النجاح. وقد جاهد سعيد خذينة في بلاد الترك مرتين أثناء ولايته. وارتحل أهل الصغد عن بلادهم، والتجؤوا إلى فرغانة، وطلبوا من ملكها مساعدتهم ضد المسلمين، ولكن لم يفلحوا لقوة المسلمين وارتفاع الروح المعنوية عندهم، وإن لم تكن الإفادة منها موجودةً فتُوجّه للجهاد في سبيل الله،

والدعوة إلى نشر الإسلام، إذ غالباً ما كان القتال لإجبار الترك على الخنوع وإلزامهم بالهدوء، والحصول على مزيدٍ مما يُطلقون عليه اسم الخراج خطأً حيث لم يكن سوى مبلغٍ من المال دون وجهٍ شرعيٍ، وعددٍ من السبي يُجبرون على تقديمه بعد هزيمتهم. ولم يكن الترك يومذاك أصحاب ديانةٍ بل كانوا كفاراً وأهل وثنياتٍ، لذا لم يكن لهم سوى السيف حتى يُسلموا فيكونوا من أبناء الأمة الإسلامية، أو يختاروا إحدى ديانتي أهل الكتاب أو من يُلحق بهم من المجوس، وعندها يكونون من أهل الذمّة، وتُؤخذ منهم الجزية، وإذا صالحوا على أرضٍ لهم يدفعون عنها الخراج.

أمّا ما كان يقع من قتالٍ في تلك الجهات فلم يكن بالأمر المشروع، لذا استمرت الفوضى والخلافات، وبقيت الأحقاد، وظهرت انتقادات للخلافة من أبنائها الحريصين على عقيدتها.

الأندلس:

كانت فكرة الجهاد لا تزال متوقّدةً لدى المسلمين في الأندلس، وكان العمل لنشر الإسلام والدعوة إليه في توثّب، وبالمقابل فإن التحدّي من قبل الإسبان

والفرنجة قائم تحرّكه النصرانية المشوبة بالوثنية أو بالحقيقة الوثنية التي تحمل اسم النصرانية، وتلبس رداءها، وتدعمه الكنيسة في روما، ويُؤجّجه الأحبار والرهبان حرصاً على مصالحهم قبل أن يكون ديانةً.

كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ قد ولّى على الأندلس السمح بن مالك الخولاني، وذلك في شهر رمضان سنة مائة، واستمرت ولايته سنتين وثلاثة أشهرٍ، أي إلى شهر ذي الحجة سنة اثنتين ومائة. وقد غزا السمح بلاد الفرنجة (فرنسا) فاخترق جبال (البرانس)، وزحف على مقاطعتي (سبتمانيا) و(بروفانس)، ثم أغار على مقاطعة (أكيتانيا)، وحاصر طلّوشة (طولوز)، فخرج له دوق (أكيتانيا) بجيشٍ كبير، ونشبت معركة عظيمة بين الطرفين استشهد فيها السمح بن مالك.

وتولّى إمرة الجيوش عبد الرحمٰن الغافقي فانسحب بفلول الجيش إلى (ناربونة) قاعدة مقاطعة (سبتمانيا)، ولم تدم إمرة عبد الرحمٰن الغافقي، وهي الإمرة الأولى، سوى شهرين، إذ لم يكن والياً رسمياً بل اقتضت الظروف الحربية أن يتسلّم قيادة الجيش ريثما يُعيّن والٍ جديد.

عيّن الخليفة يزيد بن عبد الملك على الأندلس عنبسة بن سُحيم الكلبي، وذلك في شهر صفر سنة ثلاثٍ ومائة، واستمرت ولايته أربع سنوات ونصف حيث استشهد في جنوبي فرنسا في شهر شعبان سنة سبع ومائة أيام خلافة هشام بن عبد الملك.

سار عنبسة بن سُحيم الكلبي أمير الأندلس، فدخل أرض الفرنجة، واستولى على (سبتمانيا)، ووصل إلى حوض نهر الرون، واستولى على مدينة ليون، وتوغّل في إقليم (بورغونيا)، ثم استشهد، وهو في طريق عودته إلى قاعدته (ناربونة).

كما غزا أميرُ إفريقية محمد بن يزيد صقلية.

الفصل الرابع

شخصيّة يزيد بن عبد الملك

كان يزيد بن عبد الملك أبيض، جسيماً، جميلاً، مدوّر الوجه، لم يتكهّل حيث لم يبلغ الرابعة والثلاثين من العمر.

قال ابن جابر: أقبل يزيد بن عبد الملك إلى مجلس مكحول، فهممنا أن نُوسّع له، فقال: دعوه يتعلّم التواضع[1]. وهذا يعني أنه كان يحضر مجالس العلم، أو يرغب في ذلك على الأقل، فنفسه تميل إلى الخير، وتسعى له.

وعن ابن وهب: حدثنا عبد الرحمٰن بن يزيد قال: لما تُوفّي عمر بن عبد العزيز قال يزيد: سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وعن يزيد بن عبد الملك أنّه قال: والله ما عمر بن عبد العزيز بأحوج إلى الله مني[1].

وكان عهد يزيد بن عبد الملك عهد هدوءٍ نسبيٍ، إذ لم تقع فيه سوى حركة يزيد بن المهلب، وبعض حركات الخوارج القليلة الأثر.

والأعداء لا يستطيعون إلّا أن يُوجّهوا سهامهم على الخلفاء ليحطّوا من مكانة تاريخنا وخلفائنا، ولكن لم يجدوا شيئاً على يزيد بن عبد الملك، فالهدوء عام، والفتح استمرّ في بلاد الفرنجة، والخليفة لا بأس فيه، لذا افتروا الكذب فقالوا:

١ ـ وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي عزم على أن يتأسّى بعمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسّنوا له الظلم. قال حرملة عن ابن وهب عن عبد الرحمٰن بن يزيد بن أسلم قال: لما ولي يزيد بن عبد الملك قال: سيروا بسيرة عمر، فمكث كذلك أربعين ليلةً، فأُتي بأربعين شيخاً، فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب[2]. وقد اتّهمه بعضهم في الدين،

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) هذا اتهام لعلماء المسلمين أنهم لا يبالون بشيء فيشهدون زوراً، ويفترون على الإسلام.

وليس بصحيح، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد[1].

٢ ـ حجّ يزيد بن عبد الملك في خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك فاشترى حَبابة[2] ـ وكان اسمها العالية ـ بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل بن حنيف، فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد، فردّ يزيد حبابة فاشتراها رجل من أهل مصر، فلما أفضت إليه الخلافة قالت له امرأته سعدة يوماً: يا أمير المؤمنين، هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء؟ قال: نعم، حبابة، فبعثت امرأته رجلاً فاشتراها له بأربعة آلاف دينار[3]، فألبستها، وصنعتها، وأجلستها من وراء الستارة، وقالت له أيضاً: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء؟ قال: أوَ ما أخبرتك؟ فقالت: هذه حبابة ـ وأبرزتها له، وأخلته بها، وتركته وإياها ـ فحظيت الجارية عنده، وكذلك زوجته أيضاً[4].

قال يوماً: أشتهي أن أخلو بحبابة في قصرٍ مدة

---

(١) البداية والنهاية.
(٢) أسموها حبابة باسم جارية ولده الوليد كي تختلط أمور اللهو بين يزيد وابنه الوليد.
(٣) أرسلت رجلاً اشتراها من مصر، وكأن مصر بقالة أمام الباب، وقد وجد الرجل حاجته مجرد النظر في البقالة.
(٤) تاريخ الطبري، والبداية والنهاية.

من الدهر، لا يكون عندنا أحد، ففعل ذلك، وجمع إليه في قصره ذلك ـ حبابة ـ وليس عنده فيه أحد، وقد فُرش له بأنواع الفرش والبُسط الهائلة، والنعم الكثيرة السابغة، فبينما هو معها في ذلك القصر على أسرّ حالٍ، وأنعم بالٍ، وبين يديهما عنبٍ يأكلان منه، إذ رماها بحبة عنبٍ وهي تضحك، فشرقت بها فماتت، فمكث أياماً يُقبّلها ويرشفها، وهي ميتة، حتى أنتنت وجيفت، فأمر بدفنها، فلما دفنها أقام أياماً عندها على قبرها هائماً، ثم رجع إلى المنزل، ثم عاد إلى قبرها فوقف عليه، وهو يقول:

فإن تسلُ عنك النفس أو تدع الصبا
فباليأس تسلو عنك لا بالتجلّد
وكل خليلٍ زارني فهو قائل
من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

ثم رجع فما خرج من منزله حتى خُرج بنعشه، وكان مرضه بالسل[1].

ورُوي أنه قال يوماً وقد طرب، وعنده حبابة وسلامة: دعوني أطير، فقالت حبابة: إلى من تدع الأمة، فلما مات قالت سلامة القَسّ:

---

(١) البداية والنهاية.

لا تلمنا إن خشعنا
أو هممنا بالخشوع
قد لعمري بتّ ليلي
كأخي الداء الوجيع
ثم بات الهمّ مني
دون من لي من ضجيع
للذي حلّ بنا اليو
م من الأمر القطيع
كلما أبصرتُ رَبْعاً
خالياً فاضت دموعي
قد خلا من سيّدٍ كا
ن لنا غير مضيع

ثم نادت: واأمير المؤمنيناه. والشعر لبعض الأنصار[1].

قال عليّ عن يونس بن حبيب: إن حبابة جارية يزيد بن عبد الملك غنّت يوماً:

بين التراقي واللهاة حرارة
ما تطمئن وما تسوغ فَتَبْرُدُ

(١) تاريخ الطبري.

فأهوى ليطير فقالت: يا أمير المؤمنين، إن لنا فيك حاجة، فمرضت وثقلت، فقال: كيف أنت يا حبابة؟ فلم تجبه فبكى، وقال:

لئن تسلُ عنك النفس أو تذهل الهوى
فباليأس يسلو القلب لا بالتجلّد

وسمع جاريةً لها تتمثّل:

كفى حزناً بالهائم الصبّ أن يَرى
منازل من يهوى معطّلةً قفرا

فكان يتمثّل بهذا[1].

ولاية العهد:

عهد يزيد بن عبد الملك من بعده لأخيه هشام بن عبد الملك، ومن بعده لولده الوليد بن يزيد، وذلك منذ أن تولّى أمر الخلافة، ولم يكن عمر ولده أكثر من أحد عشر عاماً، وبلغ الخامسة عشرة عند وفاة أبيه يزيد.

---

(١) المصدر نفسه. ما أعتقد أن امرأ وصل إلى هذه المكانة وبايعه الناس، وينزل إلى هذا المستوى. ولكن أقلام أعداء الإسلام تريد أن تصوّر خلفاء المسلمين بهذه الصورة، وبئس من يقبل هذا منهم.

ويروى أن يزيد بن عبد الملك قد كتب لأخيه هشام: أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته، وتمنّيت وفاته، ورمت الخلافة، وكتب في آخره:

تمنّى رجال أن أموت وإن أمت
فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم
متى متّ ما الباغي عليّ بمخلد
منيته تجري لوقتٍ وحتفه
يصادفه يوماً على غير موعد
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى
تهيّأ لأخرى مثلها وكأن قد

فكتب إليه هشام: جعل الله يومي قبل يومك، وولدي قبل ولدك، فلا خير للعيش بعدك.

وفاة يزيد بن عبد الملك:

توفي يزيد بن عبد الملك في إربد من أعمال الأردن يوم الجمعة لخمسٍ بقين من شعبان سنة خمسٍ ومائة. وكان مرضه بالسلّ، وكانت خلافته أربع سنوات وشهراً، وكان عمره يوم وفاته أربعاً وثلاثين سنة.

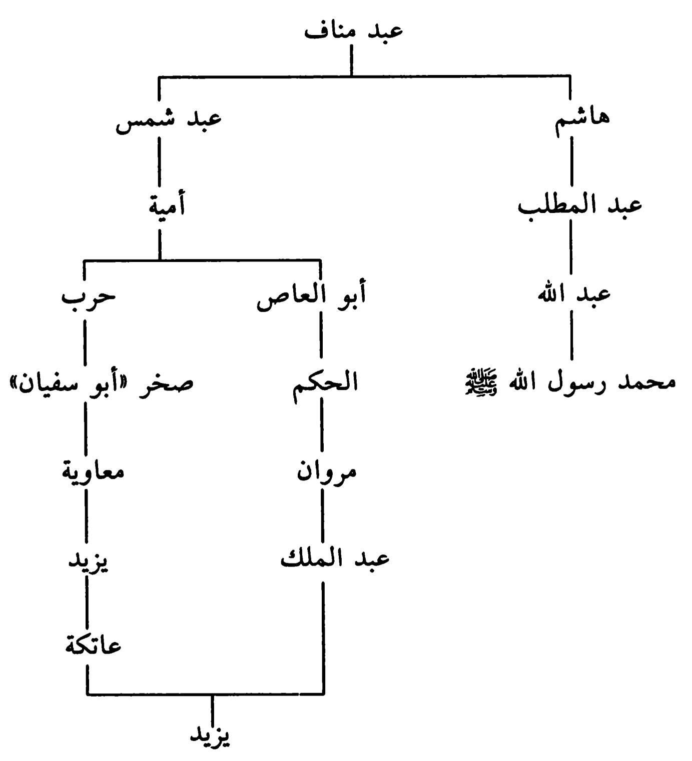
وصلّى عليه ابنه الوليد، وقيل: بل صلّى عليه أخوه هشام، وهو الخليفة بعده، غير أن هشاماً كان بحمص. وحمل على أعناق الرجال حتى دُفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق.

الفصل الخامس

أسرة يزيد بن عبد الملك

ينتمي يزيد بن عبد الملك إلى بني أمية أمّاً وأباً. فأبوه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. وقد بويع بالخلافة بعد مقتل عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، في ١٧ جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وسبعين، أما قبل ذلك فقد كان يدّعي الخلافة، ويحكم شطراً من ديار الإسلام، بينما يتبع الشطر الآخر للخليفة الشرعي، عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، في مكّة، وكذا كان أبوه من قبله. وتوفّي عبد الملك في منتصف شوال سنة ستٍ وثمانين، فكانت خلافته الشرعية ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهرٍ، وسبعةً وعشرين يوماً.

أمّا أُمّ يزيد بن عبد الملك فهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية. وقد كان أبوها يزيد بن معاوية خليفةً، كما كان جدّها معاوية بن أبي سفيان.



وإلى عاتكة أم يزيد بن عبد الملك تنسب منطقة عاتكة خارج باب الجابية بمدينة دمشق. وكان لها في تلك المنطقة قصر.

وكانت عاتكة ممن حدّث بالشام من النساء، وروى عنها مهاجر الأنصاري.

ولما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب بن الزبير ناشت به (تعلّقت به) امرأته عاتكة بنت يزيد،

وبكت. فبكى جواريها معها، فجلس ثم قال: قاتل الله ابن أبي جمعة[1] حين يقول:

إذا ما أراد الغزو لم تثن عزمه
حَصان عليها نظم درٍّ يزينها
نهته فلما لم ترَ النهي عاقه
بكت فبكى مما عراها قطينها[2]

ثم تركها ومضى.

---

(١) ابن أبي جمعة: هو الشاعر المعروف «كثيِّر عزّة»، وهو كثيّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر الخزاعي. وفي نسبه أكثر من رواية. واسمه دون تصغير «كَثير» ولكنه صُغّر لقِصَره وضآلة جثته، فعُرف بـ«كُثير». ولد في سنة ثلاثٍ وعشرين في الحجاز. وتوفي أبوه، وهو لا يزال حدثاً، فكفله عمه، فاشترى له قطيعاً من الإبل، فعمل بالرعي. وأحبّ عزّة وهي من غِفار، وقد زوّجها أهلها، فارتحلت مع زوجها إلى مصر. وانتقل هو أيضاً إلى حيث تقيم.
ويكنى كثير أبا صخر. ويذكر أن أمه تسمى «جمعة» ويكنى أبوها بها، لذلك كان يدعى أحياناً ابن أبي جمعة.
وتوفي سنة خمسٍ ومائة، في أواخر خلافة يزيد بن عبد الملك.

(٢) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الشاعر عبد الملك بن مروان، وهي سبعة عشر بيتاً، ومطلعها:
سيأتي أمير المؤمنين ودونه   جماهير حسمى قُورُها وحزونها
تجاوب أصدائي بكل قصيدةٍ   من الشعر مهداةٍ لمن لا يُهينها

وكانت صاحبة شخصيةٍ، فيروى أن عبد الملك قال لها: لو أشهدت بمالك لولدك، قالت: أدخل عليّ من ثقات موالي حتى أشهدهم. فوجّه إليها بعدةٍ منهم. ووجّه معهم روح بن زنباع، فأبلغها الرسالة، فقالت: يا روح، بنيّ في غنىً عن مالي بأبيهم وموضعهم من الخلافة، ولكن أشهدكم أني قد أوقفت جميع مالي على آل أبي سفيان، فهم إلى ذلك أحوج لتغيّر حالهم. فخرج روح وقد تغيّر لونه. فقال له عبد الملك: ما لك؟ قال: وجّهتني إلى معاوية جالس في أثوابه، وأخبره الخبر[1].

وأنجبت عاتكة لعبد الملك من الأبناء: يزيد، ومروان، ومعاوية، وقد مات معاوية صغيراً، ومن البنات أم كلثوم.

وعاشت إلى أن شهدت مقتل حفيدها الوليد بن يزيد سنة ستٍ وعشرين ومائة.

إخوة يزيد:

كان ليزيد بن عبد الملك خمسة عشر أخاً، وهم:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر.

١ ـ الوليد.

٢ ـ سليمان.

٣ ـ مروان الأكبر، وقد مات صغيراً.

وأمّهم ولّادة، أم الوليد، بنت العباس بن جزء بن الحارث العبسيّة.

٤ ـ مروان الأصغر.

٥ ـ معاوية، وقد مات صغيراً.

وهما أشقاء له، أي أن أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية.

٦ ـ هشام: وأمه عائشة، أم هشام، بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومية.

٧ ـ بكّار (أبو بكر): وأمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمية.

٨ ـ الحكم: وأمّه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان، وقد مات صغيراً.

٩ ـ عبد الله: وأمّه أم ولد. وقد تولّى إمرة مصر لأبيه بعد وفاة عمّه عبد العزيز بن مروان.

١٠ ـ مسلمة: وأمّه أم ولد. وهو الأمير الضرغام، قائد الجيوش.

١١ ـ المنذر: وأمه أم ولد.

١٢ ـ عنبسة: وأمه أم ولد.

١٣ ـ محمد: وأمه أم ولد.

١٤ ـ الحجاج: وأمه أم ولد، وقيل: بل أمه ابنة لمحمد بن يوسف الثقفي، أخي الحجاج. وقد تولّى الحجاج بن عبد الملك إمرة دمشق، وينسب إليه قصر الحجاج خارج باب الجابية بدمشق، ومحلته يقال لها (قصر الحجاج) إلى اليوم.

١٥ ـ سعيد: وأمه أم ولد، ويقال له: سعيد الخيّر. وليَ أمر فلسطين لأخيه الوليد، وولي الغزو لأخيه هشام.

وقد تولّى ثلاثة منهم الخلافة، وهم: الوليد وسليمان قبل خلافته، وهشام بعده. كما تولّى الخلافة ولدا أخيه الوليد، وهما: يزيد، وإبراهيم.

وكذلك تسلّم الخلافة اثنان من أبناء عمومته، هما:

١ ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان.

٢ ـ مروان بن محمد بن مروان.

الأخوات:

كان ليزيد بن عبد الملك ثلاث من الأخوات، وهنّ:

١ ـ أم كلثوم: وهي شقيقته، أي أن أمها عاتكة بنت يزيد بن معاوية.

٢ ـ عائشة: وهي شقيقة الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر، فأمّها ولّادة بنت العباس بن جزء بن الحارث، وقد تزوّجها خالد بن يزيد بن معاوية.

٣ ـ فاطمة: وأمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة، وقد تزوجها ابن عمها عمر بن عبد العزيز.

زوجات يزيد بن عبد الملك:

تزوج يزيد عدة زوجاتٍ منهنّ:

١ ـ سَعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وقد تزوّجها بالمدينة حين قدمها حاجاً في خلافة أخيه سليمان على عشرة آلاف دينار. وكات ذات مكانةٍ عنده، وولدت له عبد الله، وعائشة، وأم عمرو. ثم توفّي عنها فخلف عليها أخوه هشام بن عبد الملك، وفارقها ولم تلد له، ولم تتزوّج بعده.

٢ ـ أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف والي العراقين، وقد أنجبت له الوليد بن يزيد الذي عهد له أبوه بالخلافة بعد عمّه

هشام بن عبد الملك، وقد قُتل الوليد بن يزيد سنة ستٍ وعشرين ومائة.

٣ ـ أم عمرو[١]: وهي التي استفتت سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب:

عن عمرو بن دينار الأعور قال: كنت مع سالم بن عبد الله بين مكة والمدينة، قال: فسمع صوت جرس. فقال: ما هذا؟ فقلت: هذه أم عمرو امرأة يزيد بن عبد الملك. قال: اذهب إليها فأقرئها السلام، وأخبرها أن أبي أخبرني عن أبيه أن رسول الله ﷺ واعد جبريل، عليه السلام، موعداً، فأبطأ عليه جبريل، فقال: «ما حبسك يا جبريل؟» فقال: «إنا لا نقرب مكاناً فيه جرس ولا صورة»، فقل لها: فلتقطعه، أو لتحبسه. فأتيتها فأخبرتها بذلك. قال: فقطعته، أو حبسته. قالت: قل له: إن عندنا وسائد فيها تصاوير فكيف نصنع بها؟ فأتيته فأخبرته بذلك، فنظر هنيّةً، فقال: كانوا لا يرون بما يوطأ بأساً[٢].

---

(١) لم تُنسب.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر.

أولاد يزيد بن عبد الملك:

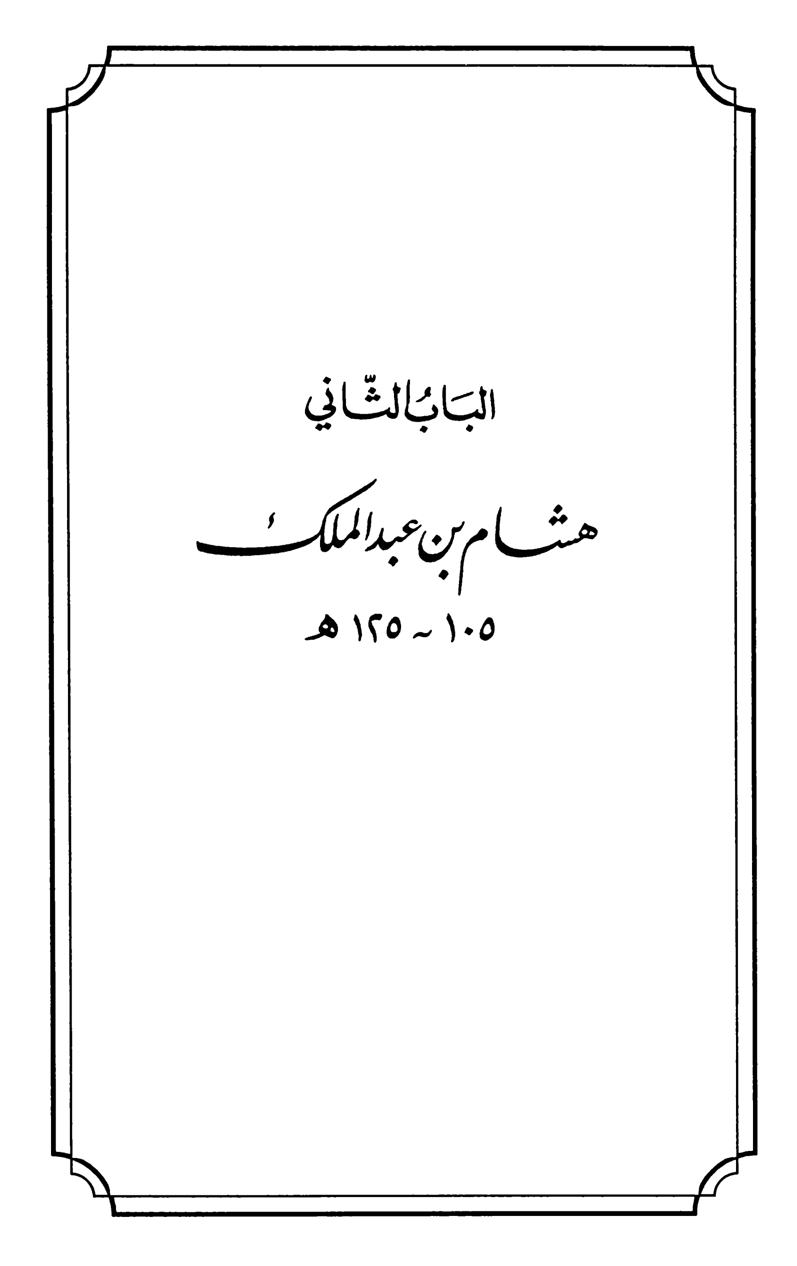
كان ليزيد بن عبد الملك أحد عشر ابناً منهم:

١ ـ الوليد بن يزيد: وقد تولّى الخلافة بعد عمّه هشام بعهدٍ من أبيه يزيد، وأمّه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي.

٢ ـ عبد الله: وأمه سَعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.

٣ ـ النعمان.

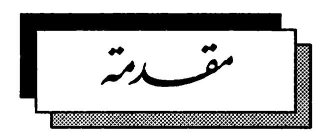
وكان له عدة بنات منهن: عائشة، وأم عمرو، وأمّهما سَعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهُما شقيقتان لعبد الله.



البابُ الثّاني

هشام بن عبد الملك

١٠٥ ـ ١٢٥ هـ



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، محمد بن عبد الله الهاشمي، خاتم رسل الله وأنبيائه وعلى آله وصحبه، *أما بعد*:

فإن هشام بن عبد الملك يُعدّ آخر خلفاء بني أمية الأقوياء لما ورث من استقرار، واجتماع كلمة بني أمية، وعدم تكامل قوة أعداء الداخل، وعدم ظهور العصبية بعد، وكذلك فإنه لا تزال للخلافة هيبتها، هذا إضافة إلى دقّة الخليفة هشام في متابعة الأمور ومراقبة شؤون الدولة، وإذا كان مروان بن محمد بن مروان، آخر خلفاء بني أمية، قوياً في إدارته ذا عزمٍ في حروبه، إلّا أن الرياح كانت قد عصفت بالخلافة، وتفرّقت كلمة بني أمية فطمع بهم الأعداء الذين تكاملت قوّتهم، وأثاروا العصبية في مشرق الخلافة، فألهبت المجتمع، فسهُل القضاء على الدولة.

كما ارتفعت صيحات صادقة تحمل على التواني في الجهاد، والتباطؤ في العمل على نشر الإسلام،

وتُندّد باللّهو الذي أخذ يظهر على مراكز المسؤولية، وتدعو إلى ترك العصبيات الجاهلية، وإلى التوجّه إلى الحق بقلوبٍ مخلصةٍ لإمكانية متابعة المهمة الملقاة على عاتق هذه الأمّة. وإذا كانت هذه الصيحات قد وجدت تجاوباً لدى المجتمع، وكان لها صدىً واسع إلّا أنه دون تحرّكات الأعداء، وأقلّ من حمية العصبيات الجاهلية، وأخفّ من تخطيط الذين يعملون وراء الستارة.

رأى بعض الحاقدين ممن وجدوا زوال ديانتهم القديمة على يد المسلمين وانتهاء مجد أمّتهم التي كانت تقوم على الشرك والظلم، وانتشار الإسلام مكانها، غير أنّهم لا يستطيعون فعل شيءٍ، فالمسلمون أقوياء، والإسلام دين بيِّنٍ واضح وضوح الشمس، دين حقٍّ وخيرٍ للبشرية جميعاً.

رأى هؤلاء الحاقدون أنه لا يمكنهم عمل شيء إلّا بالهدم من الداخل، فأظهروا الإسلام، وأبدوا تمسّكهم به، وأخذوا بالهدم، وقد عملوا على ثلاثة محاور:

١" ـ أثاروا النعرات العصبية بالدسّ، والافتراء، والكذب، فاشتعلت، ودليل تأثير الحاقدين أن هذه

العصبيات لم تقع في مهد أبنائها وديارهم، بل حيث يقيم هؤلاء الحاقدون في شرقي ديار الإسلام، الأمر الذي يُشير إلى الأثر الخارجي.

٢" ـ إظهار محبة بني هاشم آل رسول الله ﷺ، لجذب عواطف المسلمين نحوهم، ونحو مسعاهم، فالمسلمون ليس فيهم من لا يحبّ آل البيت محبة صدقٍ، لا محبة يُبتغى منها هدف. وفي هذا الإظهار للمحبة محاولة لإبداء حسن إسلامهم، وصدقهم. ونلاحظ أيضاً أن مجال هذه الدعوة غير الصادقة كانت في الموطن الأصلي لهؤلاء الحاقدين في شرقي ديار الإسلام.

٣" ـ النقد بشكلٍ سريٍّ للخلفاء لتقصيرهم بحق الإسلام تطبيقاً، وقدوةً، ودعوةً، وجهاداً، ولم يكن هذا النقد سوى طعنٍ بمن يُمثّل الإسلام، ويحكم به، وذلك تهديماً وتفرقةً.

وإذا كان العمل للهدم من الداخل قد بدأ من وقتٍ مبكرٍ غير أن أثره لا يمكن أن يظهر على الساحة إلّا بعد مرور زمنٍ، وبعد أن يبدو الضعف على القائمين بالأمر حيث يمكن للألسن عندها أن تنطق تُبدي الخير وتريد غيره.

أخذ الحديث والنقد في أيام هشام بن عبد الملك يكثر عن اللهو، والتقصير، والعصبيات، والأهلية للخلافة، وعن صاحب الحق بها و... وأصبح بالإمكان الإشارة إلى الذين يقفون خلف الستارة، والذين وقعوا في حبائل هؤلاء المغرضين.

والأغراض واضحة جليّة وإن لم تبدُ في حينها، فإن المستقبل كفيل بإظهارها، فإن أولئك الذين دعوا لهم، وعملوا باسمهم، وأظهروا محبّتهم، ودعوا لهم، ولكن عندما وصلوا إلى القمة عاد أتباعهم فوجّهوا عليهم السهام كما سبق أن وجّهوها على سلفهم، بالأمس كانوا قدوةً وأحباء واليوم هملاً أعداء، والدليل أنهم يريدون الهدم أوّلاً، ويرغبون غير الذين كانوا يدعون باسمهم، ولكن لم تواتهم الفرص، ولم يقبل منهم الناس. فرضوا بما وصلوا إليه من إحداث فرقةٍ، وإيقاع فتنٍ، ولم يزالوا في دسّهم وافتراءاتهم في محاولات للهدم.

نرجو من الله أن نُوفّق في إعطاء صورةٍ صحيحةٍ وصادقةٍ عن عهد هشام بن عبد الملك والله وليّ التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمود شاكر

الفصل الأول

هشام بن عبد الملك قبل الخلافة

ولد هشام بن عبد الملك سنة اثنتينِ وسبعين، وقد سار والده لقتال مصعب بن الزبير، ولما خبر ولادة مولودٍ له أحبّ أن يُسَمّيَه منصوراً من باب التفاؤل. وعندما رجع وجد أن زوجته قد سمّته هشاماً باسم أبيها، فلم يُنكر ذلك.

وبعد سنةٍ كاملةٍ أي سنة ثلاثٍ وسبعين قُتل خليفة المسلمين الشرعي عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، وبويع عبد الملك بن مروان خليفةً للمسلمين، ولم يعد هناك نزاع على الخلافة بين المسلمين، فنشأ هشام ولا يعرف ما حدث ولا يدري سوى أن أباه خليفة، فتربّى والاستقرار يعمّ ديار الإسلام، والنعيم يحفّها، والرعاية تحيط به من كل جهةٍ.

لم تلبث أمّه أن طُلّقت لحماقةٍ كانت بها، فشعر

هشام بالأسى والحزن، وكانت تظهر عليه الكآبة مما صبغ سلوكه بالهدوء والتروّي في الأمور، والدقّة في شؤونه، وحساب نتائج كل موضوعٍ بل وكل جوابٍ. ولكن بقيت الرعاية تلفّه وربما زادت لغياب أُمّه، كما بقي يرتع بالنعيم، ويمرح بالأُعطيات والخدم بين يديه. وقد جعلته الرعاية الزائدة يشعر بالتميّز، وكوّنت له شخصيته.

وتوفي والده عبد الملك بن مروان في منتصف سنة ستٍ وثمانين، وصلّى عليه ابنه الوليد، ودُفن خارج باب الجابية، فوقف هشام، وقال متمثّلاً:

فما كان قيس هلكه هلك واحدٍ

ولكنه بنيان قومٍ تهدّما

فقال له الوليد: اسكت فإنك تتكلّم بلسان شيطانٍ، أما لو قلت كما قال أوس بن حجر:

إذا مقرم منا ذرى حدّ نابه

تخمط منا ناب آخر مقرم

واستمرّ الوليد يرعى أخاه هشاماً، فأمّه بعيدة عنه، وأبوه قد توفّي، وهو لا يزال في مقتبل العمر يحتاج إلى رعايةٍ، وعنايةٍ، وتوجيهٍ.

وتوفّي الوليد في النصف من جمادى الآخرة سنة ستٍ وتسعين، وتولّى بعده أخوه سليمان بعهدٍ من أبيهما عبد الملك بن مروان. وبقي سليمان يتعهّد إخوته جميعاً، ومنهم هشام.

وتوفي سليمان بن عبد الملك لعشر ليالٍ مضين من شهر صفر سنة تسعٍ وتسعين، وكان هشام قد بلغ السابعة والعشرين فأصبح رجلاً، وكان يطمع بالخلافة بل لا يرى غيره، إذ لم يكن يُعهد بالخلافة إلّا لمن لم تكن أمّه أم ولد، ولم يكن من إخوته من هو أكبر منه، ويحقّ له الخلافة سوى أخيه يزيد، ويرى هشام نفسه أولى منه لبعض الصفات التي يراها في شخصه.

عن رجاء بن حيوة قال: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خزٍّ، ونظر في المرآة، فقال: أنا والله الملك الشاب. فخرج إلى الصلاة فصلّى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل عهد في كتابٍ كتبه لبعض بنيه، وهو غلام لم يبلغ، فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين، إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح. فقال سليمان: أنا أستخير الله، وأنظر في الكتاب. ولم أعزم عليه، قال: فمكث يوماً أو يومين،

ثم خرّقه فدعاني. فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ قلت: هو غائب عنك بقسطنطينية، وأنت لا تدري أحيّ هو أم ميت! فقال لي: فمن ترى؟ قلت: رأيك يا أمير المؤمنين، وأنا أريد أن أنظر من يذكر، قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيّراً فاضلاً مسلماً، فقال: هو والله على ذلك، ثم قال: والله لئن وليته ولم أُوّل أحداً سواه لتكوننّ فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلّا أن يُجعل أحدهم بعده. ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم. قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يُسكنهم، ويرضون به، قلت: رأيك. قال: فكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله سليمان لعمر بن عبد العزيز، إني قد ولّيتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتّقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم.

وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب شُرَطه، فقال: مُر أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل كعب إليهم أن يجتمعوا، فاجتمعوا، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكتابي هذا إليهم، فأخبرهم أن هذا كتابي، فأمرهم فليبايعوا من ولّيت فيه،

ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل فنسلّم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فدخلوا، فقال لهم سليمان: في هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة ـ عهدي فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا من سمّيت في هذا الكتاب. فبايعوه رجلاً رجلاً، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة.

قال رجاء: فلما تفرّقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن يكون هذا أسند إليّ شيئاً من الأمر، فأُنشدك الله وحرمتي ومودّتي إلّا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة! قال رجاء: لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً، قال: فذهب عمر غضبان.

قال رجاء: لقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء إن لي بك حرمة ومودة قديمة، وعندي شكر، فأعلمني هذا الأمر، فإن كان إليّ علمت، وإن كان إلى غيري تكلّمت، فليس مثلي قصّر به، فأعلمني فلك الله عليّ ألّا أذكر من ذلك شيئاً أبداً. قال رجاء: فأبيت، فقلت: والله لا أُخبرك حرفاً واحداً مما أُسرّ إليّ.

قال: فانصرف هشام، وهو قد يئس، ويضرب

بإحدى يديه على الأخرى، وهو يقول: فإلى من إذا نُحّيتْ عني؟ أتخرج من بني عبد الملك؟ قال رجاء: ودخلت على سليمان فإذا هو يموت، فجعلت إذا أخذته السكرة من سكرات الموت حرّفته إلى القبلة، فجعل يقول حين يُفيق: لم يأن لذلك بعد يا رجاء، ففعلت ذلك مرتين، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً، أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فحرّفته ومات، فلمّا غمّضته سجّيته بقطيفةٍ خضراء، وأغلقت الباب. وأرسلت إليّ زوجته تقول: كيف أصبح؟ فقلت: نائم، وقد تغطّى، فنظر الرسول إليه مُغطّىً بالقطيفة، فرجع فأخبرها فقبلت ذلك، وظنّت أنه نائم، قال رجاء: وأجلست على الباب من أثق به، وأوصيته ألّا يبرح حتى آتيه، ولا يدخل على الخليفة أحد.

قال: فخرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسيّ، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق، فقلت: بايعوا، فقالوا: قد بايعنا مرةً ونُبايع أخرى! قلت: هذا عهد أمير المؤمنين، فبايعوا على ما أمر به، ومن سمّى في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً. قال رجاء: فلما بايعوا بعد

موت سليمان رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون! وقرأت الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك: لا نبايعه أبداً، قلت: أضرب والله عنقك! قُم فبايع، فقام يجرّ رجليه.

ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز، وهو في مؤخر المسجد، فلما تحقّق ذلك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه، فأصعدوه على المنبر، فسكت حيناً. فقال رجاء بن حيوة: ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتبايعوه، فنهض القوم فبايعوه، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول: إنا لله وإنّا إليه راجعون، فقال عمر: نعم إنّا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت نتنازع هذا الأمر.

قال رجاء: وأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فأجلسته لما وقع فيه، وهشام يسترجع على المنبر، وهو يسترجع لما أخطأه، فلما انتهى هشام إلى عمر، قال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، حين صارت إليه لكراهته لها، والآخر يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، حيث نُحّيت عنه.

الفصل الثاني

خلافة هشام بن عبد الملك

ولي هشام الخلافة بعهدٍ من أخيه يزيد، فلما توفي يزيد بويع لهشام يوم الجمعة لخمسٍ بقين من شهر شعبان سنة خمسٍ ومائة، أي في اليوم الذي توفي فيه يزيد. وكان عمر هشام يوم استخلف أربعاً وثلاثين سنةً.

حجّ بالناس سنة خمسٍ ومائة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي، وهو خال الخليفة هشام بن عبد الملك. وكان أمير الحجاز عبد الواحد بن عبد الله النضري.

عزل الخليفة هشام عن العراق والمشرق عمر بن هبيرة[1]،

---

(١) عمر بن هبيرة: عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين الفزاري الشامي: أبو المثنى، والد الأمير يزيد بن عمر، أمير العراقين. كان عمر قد ولي غزو البحر، وسار نحو=

= قسطنطينية، وولي أمر العراق سنة ثلاثٍ ومائة أيام يزيد بن عبد الملك، ثم عزله هشام بن عبد الملك، وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري، فقيّده، وألبسه عباءةً وسجنه، فتحيّل غلمانه، ونقبوا سَرَباً أخرجوه منه، فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره. وأخذت العصبية الجاهلية تظهر بين القيسية واليمانية، ووُجد من يُسعر نارها، فأخذت تتوسّع، ويلفح لهبها المنطقة.

توفي عمر بن هبيرة سنة سبعٍ ومائة.

كان عمر بن هبيرة بدوياً أُمّيّاً، صحب عمرو بن معاوية العقيلي في غزو الروم، فأظهر بسالةً. وشارك في مقتل مطرف بن المغيرة المناوئ للحجاج بن يوسف الثقفي، وأخذ رأسه، فسيّره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فسُرّ به عبد الملك، وأقطعه إقطاعاً بأرض (برزة) من ضواحي دمشق.

ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ولّاه الجزيرة، فتوجّه إليها، وغزا الروم من ناحية أرمينية فهزمهم، وأسر منهم خلقاً كثيراً. واستمرّ والياً على الجزيرة إلى أيام خلافة يزيد بن عبد الملك، فولّاه يزيد إمارة العراق وخراسان، فكانت إقامته بالكوفة. فلما ولي الخلافة هشام بن عبد الملك عزله، وولّى مكانه خالد بن عبد الله القسري فحبس ابن هبيرة في سجن واسط، فيقول الفرزدق:

فقد حبس القسريّ في سجن واسط ... فتىً شيظمياً ما ينهنهه الزجر

فتى لم تربيه النصارى ولم يكن ... غذاء له لحم الخنازير والخمر

والشيظمي: الطويل الجسم. ولم تربّه النصارى: تعريض بخالد القسري إذ كانت أمة نصرانيةً. ولم يطل سجن ابن=

وولّى مكانه خالد بن عبد الله القسري[1]. وكان أمير

= هبيرة إذ أن غلماناً له من الأروام قد حفروا نفقاً إلى السجن، وأحضروا له خيلاً، فهرب ومعه ابنه يزيد، وذهب إلى الشام، فأناخ بباب مسلمة بن عبد الملك، فكان واسطته عند هشام بن عبد الملك، فرضي عنه هشام وأمّنه. قال ابن هبيرة: ما رأيت أشرف من الفرزدق، هجاني أميراً ومدحني أسيراً.

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، من بجيلة، يماني الأصل، لجدّه يزيد صحبة: ولد خالد سنة ستٍّ وستين، ويكنى أبا الهيثم، وهو أحد خطباء العرب، وأجوادهم، من أهل دمشق.

روى عن أبيه عن جده أنه قال: قال له رسول الله ﷺ: (يا يزيد بن أسد أحب للناس الذي تحب لنفسك).

قتل خالد المغيرة بن سعيد لزندقته، وضحّى بالجعد بن درهم الذي زعم أن الله لم يتّخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً.

ولي خالد مكة سنة تسعٍ وثمانين للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان بن عبد الملك، ثم ولّاه هشام بن عبد الملك العراقين، وبقي في إمرته حتى سنة عشرين ومائة، وكان يقيم بالكوفة، ثم عزله هشام وولّى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، وأمره أن يحاسبه، فسجنه، فكتب هشام إلى يوسف: لئن شاكت خالداً شوكة لأقتلنك. فأتى خالد الشام فلم يزل بها يغزو الصوائف حتى مات هشام. فلما ولي الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سلمه إلى يوسف بن عمر الثقفي فعذّبه سجيناً حتى مات في شهر المحرم سنة ست وعشرين ومائة.
فالسجن، والتعذيب، والقتل كان أيام الوليد بن يزيد وليس أيام هشام بن عبد الملك ـ كما جاء في بعض الروايات ـ. =

خراسان مسلم بن سعيد، وقد غزا فرغانة، وتوغّل، وأثناء غزوه عُزل عن إمرة خراسان، وولّى خالد القسري مكانه أسد بن عبد الله القسري.

وحجّ بالناس سنة ستٍ ومائة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك.

وعزل هشام بن عبد الملك عن الحجاز عبد الواحد بن عبد الله النضري وسلّم الإمارة إلى خاله إبراهيم بن هشام المخزومي، وقد حجّ بالناس سنة سبعٍ ومائة.

وعزل هشام سنة تسعٍ ومائة عن خراسان أسد بن عبد الله القسري، وأمره أن يقدم إلى الحج، فأقبل منها في رمضان، واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي، واستناب هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي(١)، ثم عزله سنة إحدى

= وكانت أم خالد بن عبد الله القسري نصرانيةً، وقد جعل لها ابنها خالد موضعاً للعبادة، فبالغ أعداؤه فجعلوا من هذا الموضع كنيسةً كبيرةً، روّادها امرأة واحدة.

(١) أشرس بن عبد الله السلمي: أمير من الفضلاء، كانوا يُسمّونه الكامل، تولّى أمر خراسان سنة تسعٍ ومائة، فقدمها، وسرّ به الناس، وبقي أميراً حتى سنة اثنتي عشرة ومائة. وغزا فرغانة=

عشرة ومائة، وولّى مكانه الجنيد بن عبد الرحمٰن المري. وحجّ بالناس في هذا العام أمير الحجاز إبراهيم بن هشام المخزومي خال الخليفة هشام بن عبد الملك. وكذلك في السنة التي تلتها، أمّا في سنة ثلاث عشرة ومائة فقد حجّ بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك.

وفي سنة أربع عشرة ومائة عزل الخليفة عن الحجاز خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام المخزومي، وولّى مكانه خاله الآخر محمد بن هشام بن إسماعيل، وحجّ بالناس في هذه السنة الأمير الجديد محمد بن هشام.

وتوفي أمير خراسان الجنيد بن عبد الرحمٰن المري في مطلع سنة ست عشرة ومائة في شهر المحرم من مرضٍ أصابه في بطنه، وكان قد تزوّج الفاضلة بنت

= فأحاط بهم الترك، ووصل الخبر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فبادر بتولية الجنيد بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن الحارث المري الدمشقي على بلاد ما وراء النهر ليحفظ ذلك الثغر، وذلك سنة إحدى عشر ومائة، وهو أحد الشجعان الأجواد، وبقي في الإمرة حتى مات في خراسان سنة خمس عشرة ومائة.

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، فغضب عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فعزله وولّى مكانه عاصم بن عبد الله الهلالي، فما قدم عاصم خراسان حتى مات الجنيد في المحرم بمدينة مرو، وقد رثاه أحد الشعراء فقال:

هلك الجود والجنيد جميعاً
فعلى الجود والجنيد السلام
أصبحا ثاويين في بطن مروٍ
ما تغنّت على الغصون الحمام
كنتما نزهة الكرام فلمّا
متّ مات الندى ومات الكرام

ولما قدم عاصم خراسان أخذ نوابَ الجنيد بالعذاب وأنواع العقوبات في المصادرات والجنايات، فخرج عن طاعته الحارث بن شريح، فتنازلا وانتصر عاصم.

وحجّ بالناس سنة ست عشرة ومائة ولي العهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

وعاد الخليفة فعزل عن خراسان عاصم بن عبد الله الهلالي وضمّها إلى العراق، وكان ذلك عن كتاب

عاصم نفسه، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام: إن ولاية خراسان لا تصلح إلّا مع ولاية العراق، رجاء أن يضيفها إليه، فانعكس الأمر عليه، فأجابه هشام إلى ذلك قبولاً لنصيحته، وأضافها إلى خالد بن عبد الله القسري. ورجع أسد بن عبد الله القسري إلى خراسان.

رحل إلى بلاد خراسان شخص يقال له: عمار بن يزيد، ثم عُرف باسم (خداش)، ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فاستجاب له خلق كثير، فلما التفوا حوله دعاهم إلى الزندقة حسب فكرة بابك الخرّميّ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضاً، وافترى لهم ذلك على لسان محمد بن علي العباسي، وهُزم خداش، وأُخذ، فجيء به إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق وخراسان، فأُمر به فقُطعت يده، وسُلّ لسانه، ثم صُلب بعد ذلك.

وحجّ بالناس سنة ثماني عشرة ومائة أمير الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي.

وحجّ بالناس سنة تسع عشرة ومائة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك، وكان معه ابن شهاب الزهري ليعلمه مناسك الحج.

وتوفي أمير خراسان أسد بن عبد الله القسري، وقد استخلف على عمله جعفر بن حنظلة البهراني، فمكث أربعة أشهر أميراً حتى جاء عهد نصر بن سيار في شهر رجب سنة عشرين ومائة، وقال ابن عرس العبدي يرثي أسداً:

نعى أسد بن عبد الله ناع
فريعَ القلب للملك المطاع
ببلْخٍ وافق المقدار يسري
وما لقضاء ربك من دفاع
فجودي عينُ بالحسرات سَحّاً
ألم يحزنك تفريق الجماع
أتاه حمامه في جوف صِبغ
وكم بالصبغ من بطلٍ شجاع
كتائب قد يجيبون المنادي
على جُردٍ مسوّمةٍ سراع
سقيت الغيث إنك كنت غيثاً
مريعاً عند مرتاد النجاع

وعزل الخليفة هشام عن العراق خالد بن عبد الله القسري، وذلك أنه انحصر منه لما كان يبلغه من إطلاق عبارة فيه، وأنه كان يقول عنه: ابن الحمقاء، وكتب إليه كتاباً فيه غلظة، فردّ عليه هشام ردّاً عنيفاً.

ثم إن هشاماً عزل خالداً، وأخفى ذلك، وبعث البريد إلى نائبه على اليمن، وهو يوسف بن عمر الثقفي، فولّاه إمرة العراق، وأمره بالمسير إليها والقدوم عليها في ثلاثين راكباً، فقدموا الكوفة وقت السحر، فدخلوها، فلما أذن المؤذن أمره يوسف بالإقامة، فقال: إلى أن يأتي الإمام ـ يعني خالداً ـ فانتهره وأمره بالإقامة، وتقدّم يوسف فصلّى وقرأ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ في الركعة الأولى، وقرأ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ في الركعة الثانية، ثم انصرف فبعث إلى خالدٍ وطارق وأصحابهما، فأُحضروا فأخذ منهم أموالاً كثيرةً، صادر خالداً بمائة ألف ألف درهم. وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمسٍ ومائة، وعُزل عنها في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة.

استناب يوسف بن عمر الثقفي على خراسان جديع بن علي الكرماني، وعزل جعفر بن حنظلة الذي كان استنابه أسد بن عبد الله القسري. ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعاً في هذه السنة عن خراسان، وولّى عليها نصر بن سيار. واستقرّت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان، واستقرّت نيابة نصر بن سيار على خراسان فتمهّدت البلاد، وأمن العباد، وقد قال سوار بن الأشعر في ذلك:

أضحت خراسان بعد الخوف آمنةً

من ظلم كل غشوم الحكم جبّار

لما أتى يوسف أخبارها لقيت

اختار نصراً لها نصر بن سيّار

وحجّ بالناس سنة عشرين ومائة سليمان بن هشام بن عبد الملك، على حين حجّ في السنة التي تلتها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف.

مقتل زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

ولد زيد في خلافة عبد الملك بن مروان سنة تسعٍ وسبعين. كان ذا علمٍ وصلاحٍ، يقول أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ: ما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أسرع جواباً ولا أبيَن قولاً.

كانت إقامته بالكوفة، ثم ارتحل إلى الشام فأقام عدة أشهرٍ بدمشق لم يجد فيها راحةً، فرجع إلى الكوفة، ومنها انتقل إلى المدينة، فلحق به أهل الكوفة فحرّضوه على الخروج، وأطمعوه في واليهم يوسف بن عمر الثقفي، فجاء معهم، ووفد على أميرهم يوسف بن

عمر، فأحسن جائزته، ورُدّ، فلحق به أهل الكوفة ثانيةً ورجعوا به بعد أن بايعه أربعون ألفاً منهم على الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنّة، وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء، وردّ المظالم، ونصرة آل البيت. فأمر زيد من بايعه بالخروج والتأهّب له في أوّل السنة أي سنة اثنتين وعشرين ومائة، فشرعوا في أخذ الأُهبة لذلك. فانطلق رجل يقال له: سليمان بن سُراقة إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره ـ وهو بالحيرة يومئذٍ ـ خبر زيد بن علي هذا، ومن معه من أهل الكوفة، فبعث يوسف بن عمر إلى نائبه على الكوفة الحكم بن الصلت يطلب زيداً ويلحّ في طلبه، فلما علمت جماعة زيد بذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له: ما قولك ـ يرحمك الله ـ في أبي بكرٍ وعمر؟ فقال: غفر الله لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرّأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلّا خيراً، قالوا: فلِمَ تطلب إذن بدم أهل البيت؟ فقال: إنّا كنا أحق الناس بهذا الأمر، ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا كفراً، وقد وُلّوا فعدلوا، وعملوا بالكتاب والسنّة. قالوا: فلِمَ تُقاتل هؤلاء إذن؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وإني

أدعو إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، وإحياء السنن، وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل. فرفضوه وانصرفوا عنه، ونقضوا بيعته وتركوه، فلهذا سُمّوا بالرافضة من يومئذٍ، ومن تابعه من الناس على قوله سُمّوا الزيدية[١].

ثم إن زيداً عزم على الخروج بمن بقي معه من أصحابه، فواعدهم ليلة الأربعاء من مستهل شهر صفر من سنة اثنتين وعشرين ومائة، فبلغ ذلك يوسف بن عمر، فكتب إلى نائبه على الكوفة ـ وهو الحكم بن الصلت ـ يأمره بجمع الناس كلّهم في المسجد الجامع.

جمع الحكم بن الصلت الناس في الجامع يوم الثلاثاء آخر شهر المحرم قبل خروج زيدٍ بيومٍ، وخرج زيد ليلة الأربعاء في بردٍ شديدٍ، ورفع أصحابه النيران[٢]، وجعلوا ينادون: يا منصور يا منصور، فلما طلع الفجر إذ قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلاً، فجعل زيد يقول: سبحان الله، أين الناس؟ فقيل: هم

---

(١) البداية والنهاية.

(٢) وهذا يشير إلى الذين يقفون وراء الستار، ويريدون الاستغلال، وهم المجوس، عبدة النار.

في المسجد محصورون. وكتب الحكم بن الصلت إلى يوسف يعلمه بخروج زيد بن علي، فبعث إليه سريةً إلى الكوفة، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرةٍ من الناس.

سمع نصر بن خزيمة نداء زيد بن عليٍّ فأقبل إليه، فلقي عمر بن عبد الرحمٰن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيلٍ من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكمة في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عديّ، فقال نصر بن خزيمة: يا منصور أمت، فلم يردّ عليه شيئاً، فشدّ عليه نصر وأصحابه، فقُتل عمر بن عبد الرحمٰن، وانهزم من كان معه، وأقبل زيد بن عليّ من جبّانة سالم حتى انتهى إلى جبّانة الصائديين، وبها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد بن عليّ فيمن معه فهزمهم.

وانتهى زيد بن عليٍّ إلى باب دار رجلٍ من الأزد، يقال له: أنس بن عمرو ـ وكان فيمن بايعه ـ فنودي وهو في الدار فجعل يجيب، فناداه زيد: يا أنس اخرج إليّ رحمك الله، فقد جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، فلم يخرج إليه، فقال زيد: ما أخلفكم! قد فعلتموها، الله حسيبكم.

ثم إن زيداً مضى حتى انتهى إلى الكُناسة، فحمل على جماعةٍ بها من أهل الشام فهزمهم، ثم خرج حتى ظهر إلى الجبّانة، ويوسف بن عمر على التل ينظر إليه هو وأصحابه، وبين يديه حزام بن مرة المزني، وزمزم بن سُليم الثعلبي، وهما على المجفّفة، ومعه نحو من مائتي رجلٍ، ولو أقبل على يوسف لقتله - والله أعلم - والريّان بن سلمة يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام.

أخذ زيد بن عليٍّ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن عليٍّ حين توجّه إلى الكُناسة قد انشعبت نحو جبّانة مِخْنف بن سُليم. ثم قال بعضهم لبعضٍ: ألا ننطلق نحو جبّانة كِندة، فما زاد الرجل على أنْ تكلم بهذا الكلام، وطلع أهل الشام، فلما رأوهم دخلوا زُقاقاً فمضوا فيه، وتخلّف رجل منهم، فدخل المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعةً، ثم إنهم صرعوه، فجعلوا يضربونه بأسيافهم، فنادى رجل منهم مقنع بالحديد: أن اكشفوا المغفر ثم اضربوا رأسه بعمودٍ من حديدٍ، ففعلوا، وقُتل، وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه، وقد قُتل، وانصرف أهل الشام، وقد

اقتطعوا رجلاً، ونجا سائرهم. فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف، فدخل أهل الشام عليه فأسروه، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله.

وأقبل زيد بن عليّ، وقد رأى خذلان الناس إياه، فقال: يا نصر بن خزيمة، أخاف أن يكون قد جعلوها حسينيةً[1]، فقال له: جعلني الله لك الفداء، أما أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفي هذا حتى أموت، فكان قتاله يومئذٍ بالكوفة. ثم إن نصر بن خزيمة قال لزيد بن عليٍّ: جعلني الله لك الفداء، إن الناس في المسجد الأعظم محصورون، فامضِ بنا نحوهم، فخرج بهم زيد نحو المسجد، فمرّ على دار خالد بن عَرْفَطة، وبلغ عبيد الله بن العباس الكندي إقباله، فخرج في أهل الشام، وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص، فضعف صاحب لواء عبيد الله ـ وكان لواؤه مع سلمان مولاه ـ فلما أراد عبيد الله الحملة، ورآه قد ضعُف عنه، قال: احمل يا ابن الخبيثة، فحمل عليهم، فلم ينصرف حتى خُضّب لواؤه بالدم.

(١) يريد كما سبق لأهل الكوفة أن خذلوا الحسين بن علي، رضي الله عنهما.

ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط، فاضطربا بسيفيهما، فقال واصل: خذها مني وأنا الغلام الحنّاط، وقال الآخر: قطع الله يدي إن كِلْتَ بقفيزٍ أبداً، ثم ضربه فلم يصنع شيئاً. وانهزم عبيد الله وأصحابه، حتى انتهوا إلى دار عمرو بن حُرَيْث. وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل، فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب، ويقولون: يا أهل المسجد، اخرجوا. وجعل نصر بن خزيمة يناديهم، ويقول: يا أهل الكوفة، اخرجوا من الذلّ إلى العزّ، اخرجوا إلى الدين والدنيا، فإنكم لستم في دينٍ ولا دنيا. فأشرف عليهم أهل الشام، فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد ـ وكان يومئذٍ جمع كبير بالكوفة في نواحيها، وقيل: في جبّانة سالم ـ وانصرف الريّان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء، وانصرف زيد بن عليٍّ فيمن معه، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة، فنزل دار الرزق، فأتاه الريّان بن سلمة، فقاتله عند دار الرزق قتالاً شديداً، فجُرح من أهل الشام وقُتِل منهم ناس كثير، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا إلى المسجد، فرجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شيءٍ ظنّاً، فلما كان من الغد غداة يوم الخميس دعا يوسفُ بن عمر الريّانَ بن سلمة، فلم يوجد حاضراً تلك الساعة.

وقال بعضهم: بل أتاه وليس عليه سلاحه فأفّف به، وقال له: أفٍّ لك من صاحب خيلٍ اجلس، فدعا العباس بن سعيد المزني صاحب شرطته، فبعثه في أهل الشام، فسار حتى انتهى إلى زيد بن عليّ في دار الرزق، وثمّ خشب للتجار كثير، فالطريق متضايق، وخرج زيد في أصحابه، وعلى مجنبتيه نصر بن خزيمة العبسيّ ومعاوية بن إسحاق الأنصاري، فلما رآهم العباس بن سعيد ـ ولم يكن معه رجال ـ نادى: يا أهل الشام الأرض والأرض، فنزل ناس كثير ممن معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة. وقد كان رجل من أهل الشام من بني عبس يقال له: نائل بن فروة قال ليوسف بن عمر: والله لئن أنا ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنّه أو ليقتلني، فقال له يوسف: خذ هذا السيف، فدفع له سيفاً لا يمرّ على شيءٍ إلّا قطعه. فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيدٍ واقتتلوا، بصُر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة، فأقبل نحوه، فضرب نصراً فقطع فخذه، وضربه نصر ضربةً فقتله، فلم يلبث نصر أن مات، واقتتلوا قتالاً شديداً.

ثم إن زيد بن عليّ هزمهم وقتل من أهل الشام نحواً من سبعين رجلاً، فانصرفوا وهم بشرّ حالٍ. وكان العباس بن سعيد قد نادى في أصحابه أن اركبوا،

فإن الخيل لا تطيق الرجال في المضيق فركبوا، فلما كان العشيّ عبّأهم يوسف بن عمر ثم سرّحهم، فأقبلوا حتى التقوا هم وأصحاب زيد، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة، ثم شدّ عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سُليم، ثم تبعهم في خيله ورجاله، حتى أخذوا على المسناة[1].

ثم إن زيداً ظهر لهم فيما بين بارق ورُؤاس، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً، وصاحب لوائه يومئذٍ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح، من بني سعد بن زيد، حليف العباس بن عبد المطلب، وكان مسروح السعدي تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب، فجعلت خيلهم لا تثبت لخيله ورجله، فبعث العباس بن سعيد المزني إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك، فقال له: ابعث إليّ الناشبة، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبي في القيقانية والبخارية، وهم ناشبة، فجعلوا يرمون زيداً وأصحابه، وكان زيد حريصاً على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السبخة، فأبوا عليه، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري بين يدي زيد بن

(١) المسناة: سد يبنى أمام السيل.

عليٍّ قتالاً شديداً فقُتل بين يديه، وثبت زيد بن عليٍّ ومن معه حتى إذا جنح الليل رُمي بسهمٍ فأصاب جانب جبهته اليسرى، فتشبّث في الدماغ، ورجع أصحابه، ولا يظنّ أهل الشام أنهم رجعوا إلا للمساء والليل[1].

أُدخل زيد بن عليٍّ بيت حرّان بن كريمة (مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب وشاكر)، وانطلق أصحابه فجاءوا بطبيبٍ يقال له شقير (مولى لبني رؤاس)، فانتزع السهم من جبهته، فصاح زيد بن عليٍّ، وما لبث أن قضى نحبه، ودُفن.

وبعث يوسف بن عمر أهل الشام يطلبون الجرحى في دور أهل الكوفة. ثم إن غلام زيد بن عليّ (السندي) قد دلّ أهل الشام على المكان الذي دُفن فيه زيد، فذهبوا وتأكّدوا من قتله[2].

يحيى بن زيد بن عليّ:

لما قُتل زيد عمد رجل إلى يحيى بن زيد، فقال

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) افتريت أقوال كثيرة فيما فُعِل بجثته لتشويه الأحداث وإيقاع الفتنة، وإظهار الأحقاد، وإثبات عدم وجود عفو ورحمة عند المسلمين.

له: قد قُتل أبوك، وأهل خراسان لكم أعوان، فالرأي أن تخرج إليها. قال: وكيف لي بذلك؟ قال: تتوارى حتى يُكفّ عنك الطلب ثم تخرج، فواراه عنده ليلةً، ثم خاف، فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان، فقال له: إن قرابة زيد بك قريبة، وحقّه عليك واجب، قال له: أجل، ولقد كان العفو عنه أقرب إلى التقوى، قال: فقد قُتل، وهذا ابنه غلاماً حَدَثاً لا ذنب له، وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله، فتُجيره وتواريه عندك، قال: نعم وكرامةً، فأتاه به فواراه عنده. فبلغ الخبر يوسف، فأرسل إلى عبد الملك: قد بلغني مكان هذا الغلام عندك، وأُعطي الله عهداً، لئن لم تأتني به لأكتبنّ فيك إلى أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: أتاك الباطل والزور، أنا أواري من يُنازعني سلطاني، ويدّعي فيه أكثر من حقي، ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا عليّ ولا الاستماع من صاحبه، فقال: صدق والله ابن بشر، ما كان ليُواري مثل هذا، ولا يستر عليه، فكُفّ عن طلبه، فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفرٍ من أعوان أبيه إلى خراسان[1].

---

(١) تاريخ الطبري.

وحجّ بالناس سنة اثنتين وعشرين ومائة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي.

سبق أن قلنا: إن مقتل خاقان الترك في ولاية أسد بن عبد الله القسري قد جعل الترك تتفرّق، ويُغير بعضها على بعضٍ، فطمع أهل الصغد في الرجعة إليها، وانحاز قوم منهم إلى الشاش، فلما ولي نصر بن سيّار أرسل إليهم يدعوهم إلى الفيئة والمراجعة إلى بلادهم، وأعطاهم كل ما أرادوا. وكانوا قد سألوا شروطاً أنكرها أمراء خراسان، منها: ألا يُعاقب من كان مسلماً وارتدّ عن الإسلام، ولا يعدى عليهم في دينٍ لأحدٍ من الناس، ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال، ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلّا بقضية قاضٍ، وشهادة العدول. فعاب الناس ذلك على نصر، وكلّموه، فقال: أما والله لو عاينتم شوكتهم في المسلمين ونكايتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك، فأرسل رسولاً إلى الخليفة هشام في ذلك، فلما قدم الرسول أبى أن ينفذ ذلك لنصر بن سيّار، فقال الرسول: جرّبت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا، فاختر لنفسك. فغضب الخليفة هشام، فقال الأبرش الكلبي: يا أمير المؤمنين، تألّف القوم واحمل لهم، فقد عرفت

نكايتهم كانت في المسلمين، فأنفذ هشام ما سأل.

وأوفد يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق الحكم بن الصلت إلى هشام بن عبد الملك يسأله ضمّ خراسان إليه وعزل نصر بن سيّار.

وحجّ بالناس سنة ثلاثٍ وعشرين ومائة يزيد بن هشام بن عبد الملك.

وحج في السنة التالية أي أربعٍ وعشرين ومائة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ومعه زوجه أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك.

الخوارج:

كانت حركات الخوارج أيام هشام بن عبد الملك في المشرق موضعيةً لم تتجاوز أرض العراق، وعلى نطاقٍ ضيق لم تتعدّ مساحاتٍ صغيرةً، ولم تشمل سوى عددٍ محدودٍ من الرجال، ولم تستمر إلا مدةً بسيطةً إذ لم يلبث مثيرها ومشعل فتنتها أن يُقتل وتنتهي بموته الحركة التي قام بها، ثم تقوم حركة ثانية وهكذا.

١" ـ عبّاد الرُّعَيني:

خرج باليمن سنة سبعٍ ومائة رجل يُقال له: عبّاد

الرعيني، فدعا إلى مذهب الخوارج، وتبعه عدد من الناس، فقاتلهم يوسف بن عمر الثقفي(١) فقتله وقتل أصحابه، وكان عددهم ثلاثمائة رجلٍ.

٢" ـ بهلول بن بشر الشيباني:

ويُلقَّب بـ(كُثارة)، من أهل الموصل، خرج في أربعين رجلاً أمّروه عليهم، وذلك سنة تسع عشرة ومائة، واتفقوا على قتل أمير العراق خالد بن عبد الله القسريّ، فأرسل إليهم أمير العراق جماعةً من الشام

---

(١) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، أبو يعقوب: كانت منازل أهله بالبلقاء بالأردن. ولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ستٍ ومائة، ثم نقله هشام سنة إحدى وعشرين ومائة إلى العراق، وأضاف إليه خراسان، واستخلف ابنه (الصلت) على اليمن، وأقام هو بالكوفة. كان شهماً، سائساً، مهيباً، معطاءً، جباراً، قتل سلفه خالد بن عبد الله القسري تحت العذاب، واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فعزله يزيد في أواخر سنة ستٍّ وعشرين ومائة، وقبض عليه وسجنه بدمشق، فأرسل إليه يزيد بن خالد القسري مولاه أبا الأسد، فدخل عليه السجن فضرب عنق يوسف ثأراً لأبيه، وعمره نيف وستون سنةً.

كان صغير الحجم، قصير القامة، عظيم اللحية، فصيحاً، جواداً، يُضرب به المثل بالحمق.

وفي أيام خلافة مروان بن محمد بن مروان اقتصّ من يزيد بن خالد فقُتل.

جاءوا بالأصل مارّين بالعراق وذاهبين مدداً لعامل الهند، فلما نزلوا الحيرة أرسلهم خالد بن عبد الله القسريّ للخوارج إلّا أنهم هُزموا، فلما بلغت هزيمتهم خالداً القسريّ أرسل إلى الخوارج جماعةً أخرى فالتقت بهم بين الموصل والكوفة ولكنها لم تلبث أن هُزمت أمام الخوارج، وعادت فلولها إلى الذي أرسلها، وهو بالكوفة ينتظر نتائج المعركة. واستفحل أمر الخوارج لشجاعتهم وجلدهم، وقلة نصح من يُقاتلهم من الجيوش. ثم إنهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة هشام، وعلم عمّال الخليفة بمسير الخوارج، فتجهّز لقتالهم جيش من العراق، وجيش من الجزيرة، وجند من الشام، واجتمعوا بديرٍ بين الجزيرة والموصل نحو عشرين ألفاً، وأقبل بهلول عليهم في عددٍ يسيرٍ، فنشب القتال بين الطرفين، فقتل عامة أصحاب بهلول الخارجي. ثم إن رجلاً من جديلة يكنى أبا الموت ضرب بهلولاً ضربةً فصرعه، وتفرّقت عنه بقية أصحابه، وكانوا جميعهم سبعين رجلاً، وقد رثاهم بعض أصحابهم فقال:

بُدِّلَت بعد أبي بشرٍ وصحبته

قوماً عليّ مع الأحزاب أعوانا

بانوا كأن لم يكونوا من صحابتنا
ولم يكونوا لنا بالأمس خلّانا
يا عين أذري دموعاً منك تهتاناً
وابكي لنا صحبةً بانوا وإخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها
وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا

وقبل أن يُقتل بهلول استخلف بعده دعامة الشيباني، ومن بعده عمرو اليشكري. وبعد مقتل بهلول وهزيمة الخوارج ترك دعامة الشيباني جماعته ممن بقي من الخوارج وفرّ وحده.

وخرج بعدئذٍ وفي العام نفسه عمرو اليشكري، إلّا أنه لم يلبث أن قُتل، إذ جهّز لهم خالد القسري العساكر، ولم يزل حتى أباد خضراءهم، ولم يبق لهم باقية.

٣" ـ العنزي:

وخرج العنزي صاحب الأشهب في ستين رجلاً فوجّه إليه خالد بن عبد الله القسري أربعة آلافٍ بإمرة السمط بن مسلم البجلي، فالتقى الجمعان على الفرات فهُزمت الخوارج، وقُتلت فلولهم عند الكوفة من عامّة الناس.

٤" ـ الصحاري بن شبيب:

وخرج أيضاً سنة تسع عشرة ومائة الصحاري بن شبيب، وتبعته جماعة قليلة حوالي ثلاثين رجلاً، فبعث إليهم خالد القسريّ جنداً فقتلوهم جميعاً، لم يتركوا منهم رجلاً واحداً.

ولكن إفريقية كثرت فيها حركة الخوارج أيام هشام بن عبد الملك.

إفريقية:

كان والي إفريقية في بداية خلافة هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان الكلبي(١)، وقبل موته استخلف مكانه نفاش بن قرط الكلبي فأساء في إمرته، إذ عمل على إذلال القيسية، فعزله هشام بن عبد الملك وولّى مكانه على إفريقية عبيدة بن عبد الرحمٰن القيسي، فبطش بعمال سابقيه من اليمانية وبآل موسى بن نصير فتحرّكت العصبية وبزغ قرن الفتنة.

---

(١) بشر بن صفوان الكلبي: أمير المغرب، وأحد الشجعان ذوي الرأي والحزم. ولي مصر أولاً سنة إحدى ومائة من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بنقل إمارته إلى إفريقية سنة اثنتين ومائة، فخرج إليها، وأقام بالقيروان، وغزا صقلية وغيرها، ومات بالقيروان سنة تسعٍ ومائة.

وفي سنة ست عشرة ومائة أرسل والي مصر الوليدُ بن رفاعة أميراً إلى إفريقية هو عبيد الله بن الحبحاب[1]، فولّى على طنجة عمر بن عبيد الله المرادي فأساء معاملة البربر، وولّى على بلاد السوس ابنه إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب الذي أساء معاملة البربر أيضاً الأمر الذي دفعهم إلى الحركة.

كان مذهب الخوارج قد انتشر في المغرب بين قبائل البربر خاصةً، وإذا كانت الأباضية لا تزال في مرحلة الدعوة لفكرتها، فإن الصفرية قد قطعت تلك المرحلة وأخذت تعمل للظهور. فلما أساء بعض العمّال للبربر، فإن هذا قد دفع الصفرية شوطاً نحو مرحلة الظهور، وأرادوا أن يجدوا مبرّراً لتحرّكهم، والتقت كلمة البربر من صفريةٍ وأباضيةٍ، وسافر وفد منهم إلى

---

(١) عبيد الله بن الحبحاب السلولي الموصلي: أمير، من الرؤساء النبلاء الخطباء. كان مولى لبني سلول، ونشأ كاتباً، وولي مصر زمناً، نقله هشام بن عبد الملك إلى إفريقية سنة ست عشرة ومائة، فسار إليها، وضبط أمورها، وسيّر الغزاة إلى صقلية، وبلاد السوس، وأرض السودان، واتخذ بتونس «دار صناعة» لإنشاء المراكب البحرية، وأنشأ الجامع الأعظم بتونس «جامع الزيتونة»، ومع إساءة بعض عماله في المغرب، ومع انتشار مذهب الخوارج الصفرية اضطرب عليه أمر البلاد فاستدعاه هشام بن عبد الملك، وعزله سنة ثلاث وعشرين ومائة.

دمشق لمقابلة الخليفة، وشكاية سوء تصرّف العمال معهم، ومنها حرمانهم من غنائم الحروب التي خاضوها في حملات عبيد الله بن الحبحاب رغم حسن بلائهم.

سافر وفد من البربر إلى دمشق برئاسة ميسرة[1]، ولكن حيل بين الوفد وبين الخليفة، ذلك أن الخليفة قد عرف روح التمرّد عند أعضاء الوفد، كما عرف المذهب الخارجي الذي يجري في عروقهم، فما رغب أن يستمع منهم فيرفع شأن أميرهم، فيشجّعهم ذلك على الثورة.

رجع الوفد ناقماً، بل ادّعى أن الخلافة متواطئة مع عمّالها على الظلم والجور، لذا عقدوا العزم على الثورة. وإثر عودة ميسرة رئيس الوفد بايعه الخوارج الصفرية بالإمامة. كما انضوى الخوارج الصفرية من غير البربر إليه بزعامة عبد الأعلى بن جريج، وكذلك فعلت قبيلة برغواطة وشيخها طريف. واتّخذ ميسرة من ابنه صالح ناصحاً ومستشاراً.

---

(١) ميسرة: اختلف المؤرخون في نسب ميسرة، فمنهم من يذكر أنه عربي، ويعدّه من قبائل الأزد، ومنهم من يؤكّد انتماءه إلى البربر، ويذكر أنه من قبيلة مطغرة، وهو الأرجح، وكان يشتغل بالسقاية في سوق القيروان، ويبدو أن ذلك للتعمية، لذا لقب بالفقير، والحقير، والخفير و...

استغلّ ميسرة غياب جيش والي إفريقية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري[1] في صقلية يجاهد هناك في سبيل الله، فأعلن الخروج، وزحف بجموعٍ من الصفرية إلى طنجة، فدخلها وقتل عاملها عمر بن عبيد الله المرادي، وعيّن مكانه عبد الأعلى بن جريج الإفريقي، واتّجه إلى بلاد السوس، وتمكّن من اجتياحها وقتل واليها إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، وتمّت له السيطرة على منطقة المغرب الأقصى، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائة.

اتّجه ميسرة نحو القيروان، فوجّه إليه عبيد الله بن الحبحاب قوةً بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري، كما أسرع باستدعاء حبيب بن أبي عبيدة الفهري وجيشه من صقلية ليواجه خطر الخوارج.

---

(١) حبيب بن مرة (أبي عبيدة) بن عقبة بن نافع الفهري القرشي: قائد من الولاة، ولد ونشأ بمصر، دخل الأندلس مع موسى بن نصير، وولي بعض الإمارات، ووفد على سليمان بن عبد الملك مع جماعة يحملون رأس عبد العزيز بن موسى بن نصير. ثم عاد إلى إفريقية، وتولّى قيادة الجيوش، ومنها الجيش الذي غزا صقلية، ومنها الجيش الذي قاتل الخوارج من البربر، وقتل سنة أربعٍ وعشرين ومائة في بعض معاركه.

التقى خالد بن أبي حبيب الفهري بجيش ميسرة وهزمه، فتراجع ميسرة وتحصّن في طنجة. ثم عاد فقسم جيشه إلى قسمين، فأرسل القسم الأول لمواجهة خالد بن أبي حبيب، وبعث بالقسم الثاني ليلتفّ خلف جيش خالد بن أبي حبيب، فيحول دون فرار أفراده، ويمنع من ناحيةٍ ثانيةٍ التحام جيش خالد مع جيش حبيب ابن أبي عبيدة الذي كان يرابط عند مجاز نهر (الشليف). وشدّ ميسرة على جيش خالد، فاستطاع أن يقضي على ذلك الجيش بعد معركةٍ عُرفت باسم (معركة الأشراف).

حاول الخوارج بقيادة ميسرة التوجّه نحو القيروان، غير أن عامل طرابلس استطاع أن يُبدّد شملهم. ورغم ذلك فإن معركة الأشراف قد قلّلت من هيبة والي إفريقية عبيد الله بن الحبحاب، واستخفّت به القبائل، كما أن الخليفة هشام بن عبد الملك قد غضب عليه فاستدعاه إلى دمشق، وقد عزله عن ولاية إفريقية، وبعث جيشاً بإمرة كلثوم بن عياض القشيري[1]، وأعطاه إمارة إفريقية، وعهد من بعده إلى ابن أخيه بلج بن

---

(١) كلثوم بن عياض القشيري: أحد الأشراف الشجعان القادة، قتل في أواخر سنة ١٢٣ للهجرة في معركة بقدورة، واستباح عسكره أبو يوسف الأزدي رأس الصفرية.

بشر بن عياض القشيري[1]، فإن قُتل تولّاه ثعلبة بن سلامة العاملي[2]. وبلغ جيش كلثوم بن عياض ثلاثين ألفاً من أهل الشام ومصر، كما انضمّ إليه من جند إفريقية والمتطوّعين ما يقرب من أربعين ألفاً، وأمدّه الخليفة بالأدلّاء والمرشدين من أمثال مغيث مولى الوليد بن عبد الملك، وهارون القرني لخبرتهما بمسالك

---

(١) بلج بن بشر بن عياض القشيري: قائد، شجاع، من دمشق، من ذوي الحزم، سيّره هشام بن عبد الملك على مقدمة جيشٍ كثيفٍ، مع عمه كلثوم بن عياض، ولما هُزم هذا الجيش في بلاد المغرب، هرب بلج إلى طنجة، ثم انتقل إلى الأندلس فارتاح قليلاً، ثم عاود الكرة، وأوغل فيهم فخافه أمير الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري، فدعاه إلى الخروج منها، فقبض عليه بلج وقتله، واستولى على البلاد، فانتظمت له أمورها أحد عشر شهراً، ثم توفي متأثراً بجراحاته التي أُصيب بها في بعض معاركه، وكان مقره في قرطبة.

(٢) ثعلبة بن سلامة بن جحدم العاملي: والٍ، من رجال الدولة المروانية بالشام، ولي الأردن، ثم سار مع جيش كلثوم بن عياض إلى إفريقية، وانتقل مع بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس بعد هزيمتهم أمام الخوارج الصفرية في المغرب. وتولّى إمارة الأندلس بعد وفاة بلج بن بشر، ولم تستمر ولايته للأندلس سوى عشرة أشهر، حيث خلفه في شهر رجب سنة خمس وعشرين ومائة أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، وعاد ثعلبة إلى الشام. وقُتل مع مروان بن محمد سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

المغرب وطبائع البربر، كما أتاح له سلطات واسعة.

التقى جيش الخلافة مع الخوارج الصفرية بقيادة خالد بن حميد الزناتي عند وادي نهر (سبو) في موضع يقال له: (بقدورة). واتخذ الخوارج الحيل القتالية وتنفير الخيل بـ (الأوضاف)، وهي الجلود اليابسة التي فيها الحجارة. وقتل في المعركة كلثوم بن عياض، وحبيب بن أبي عبيدة، وفرّ بلج بن بشر نحو طنجة بعشرة آلاف من جنده، وعادت فلول الجيش المهزوم نحو إفريقية.

سيّر الخليفة هشام بن عبد الملك بعد مقتل كلثوم بن عياض إلى إفريقية عامل مصر حنظلة بن صفوان الكلبي[1]، فأقام في القيروان، وحاول الخوارج

---

(١) حنظلة بن صفوان الكلبي، أبو حفص: أمير من القادة الشجعان، من أهل دمشق. استخلفه أخوه بشر على إمارة مصر سنة ١٠٣هـ، وأقرّه يزيد بن عبد الملك، فلما مات يزيد وخلفه أخوه هشام بن عبد الملك صرف حنظلة عن الإمارة سنة ١٠٥هـ، ثم أعاده إليها سنة ١١٩هـ، فأقام إلى سنة ١٢٤هـ حيث نقله هشام والياً على إفريقية، فاستطاع قمع ثورة البربر، وأرسل إلى الأندلس فكان له دور فيها، واستقرّ حتى اضطرب أمر الخلافة في الشام فأخرجه أهل إفريقية عام ١٢٩هـ، وتوفي سنة ثلاثين ومائة.

من البربر حصاره فيها، إلّا أنه تمكّن من إنزال الهزيمة بهم، وأعاد للخلافة هيبتها في بلاد المغرب.

وفاة هشام بن عبد الملك:

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة، ودُفن فيها، وكان موته بالذبحة الصدرية، وكانت وفاته يوم الأربعاء لستّ ليالٍ خلون من شهر ربيع الثاني سنة خمسٍ وعشرين ومائة. وبذا كانت خلافته تسع عشرة سنةً وسبعة أشهرٍ وأحد عشر يوماً.

وتوفي وهو ابن اثنين وخمسين سنةً. وصلّى عليه ابنه مسلمة بن هشام بن عبد الملك، وكان يكنى أبا الوليد.

الولايات في عهد هشام بن عبد الملك

سنة	مكة	المدينة	البصرة	الكوفة	خراسان	مصر	إفريقية	الأندلس
١٠٥	عبد الواحد بن عبد الله النضري	عبد الواحد بن عبد الله النضري	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	مسلم بن سعيد	محمد بن عبد الملك بن مروان	بشر بن صفوان الكلبي	عنبسة بن سحيم الكلبي
١٠٦	عبد الواحد بن عبد الله النضري	عبد الواحد بن عبد الله النضري	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أسد بن عبد الله القسري	الحرّ بن يوسف	بشر بن صفوان الكلبي	عنبسة بن سحيم الكلبي
١٠٧	إبراهيم بن هشام المخزومي	إبرهيم بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أسد بن عبد الله القسري	الحرّ بن يوسف	بشر بن صفوان الكلبي	عنبسة بن سحيم الكلبي
١٠٨	إبراهيم بن هشام المخزومي	إبراهيم بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أسد بن عبد الله القسري	الحرّ بن يوسف	بشر بن صفوان الكلبي	عذرة بن عبد الله الفهري. يحيى بن سلمة الكلبي

الولايات في عهد هشام بن عبد الملك

سنة	مكة	المدينة	البصرة	الكوفة	خراسان	مصر	إفريقية	الأندلس
١٠٩	إبراهيم بن هشام المخزومي	إبراهيم بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أشرس بن عبد الله السلمي	عبد الملك بن رفاعة. الوليد بن رفاعة	بشر بن صفوان الكلبي	يحيى بن سلمة الكلبي
١١٠	إبراهيم بن هشام المخزومي	إبراهيم بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أشرس بن عبد الله السلمي	الوليد بن رفاعة	نفاش بن قرط	يحيى بن سلمة الكلبي. حذيفة بن الأحوص
١١١	إبراهيم بن هشام المخزومي	إبراهيم بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	الجنيد بن عبد الرحمن	الوليد بن رفاعة	نفاش بن قرط	عثمان بن أبي نسعة. الهيثم بن عدي
١١٢	إبراهيم بن هشام المخزومي	إبراهيم بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	الجنيد بن عبد الرحمن	الوليد بن رفاعة	نفاش بن قرط	محمد بن عبد الله الأشجعي. عبد الرحمن الغافقي

الولايات في عهد هشام بن عبد الملك

سنة	مكة	المدينة	البصرة	الكوفة	خراسان	مصر	إفريقية	الأندلس
١١٣	إبراهيم بن هشام المخزومي	إبراهيم بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	الجنيد بن عبد الرحمن	الوليد بن رفاعة	عبيدة بن عبد الرحمن	عبد الرحمن الغافقي
١١٤	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	الجنيد بن عبد الرحمن	الوليد بن رفاعة	عبيدة بن عبد الرحمن	عبد الرحمن الغافقي. عبد الملك بن قطن الفهري
١١٥	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	الجنيد بن عبد الرحمن	الوليد بن رفاعة	عبيدة بن عبد الرحمن	عبد الملك بن قطن الفهري
١١٦	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	عاصم بن عبد الله الهلالي	الوليد بن رفاعة	عبيدالله بن الحبحاب	عبد الله بن قطن. عقبة بن الحجاج السلولي

الولايات في عهد هشام بن عبد الملك

سنة	مكة	المدينة	البصرة	الكوفة	خراسان	مصر	إفريقية	الأندلس
١١٧	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أسد بن عبد الله القسري	الوليد بن رفاعة	عبيدالله بن الحبحاب	عقبة بن الحجاج السلولي
١١٨	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أسد بن عبد الله القسري	عبد الرحمن بن خالد	عبيدالله بن الحبحاب	عقبة بن الحجاج السلولي
١١٩	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أسد بن عبد الله القسري	حنظلة بن صفوان الكلبي	عبيدالله بن الحبحاب	عقبة بن الحجاج السلولي
١٢٠	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	خالد بن عبد الله القسري	خالد بن عبد الله القسري	أسد بن حنظلة البهراني. نصر بن سيار	حنظلة بن صفوان الكلبي	عبيدالله بن الحبحاب	عقبة بن الحجاج السلولي

الولايات في عهد هشام بن عبد الملك

سنة	مكة	المدينة	البصرة	الكوفة	خراسان	مصر	إفريقية	الأندلس
١٢١	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	يوسف بن عمر الثقفي	يوسف بن عمر الثقفي	نصر بن سيار	حنظلة بن صفوان الكلبي	عبيدالله بن الحبحاب	عقبة
١٢٢	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	يوسف بن عمر الثقفي	يوسف بن عمر الثقفي	نصر بن سيار	حنظلة بن صفوان الكلبي	عبيد الله بن الحبحاب	عقبة
١٢٣	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	يوسف بن عمر الثقفي	يوسف بن عمر الثقفي	نصر بن سيار	حنظلة بن صفوان الكلبي	كلثوم بن عياض	عقبة. عبد الملك بن قطن الفهري
١٢٤	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	يوسف بن عمر الثقفي	يوسف بن عمر الثقفي	نصر بن سيار	حفص بن الوليد الحضرمي	حنظلة بن صفوان الكلبي	بلج بن بشر
١٢٥	محمد بن هشام المخزومي	محمد بن هشام المخزومي	يوسف بن عمر الثقفي	يوسف بن عمر الثقفي	نصر بن سيار	حفص بن الوليد الحضرمي	حنظلة بن صفوان الكلبي	ثعلبة بن سلامة

الفصل الثالث

الجهاد أيام هشام بن عبد الملك

لم يتغيّر وضع الجهاد في عهد هشام بن عبد الملك كثيراً عمّا كان في عهد سابقه أخيه يزيد بن عبد الملك، وإن كان أفضل بقليل وأوسع على نطاقٍ يسيرٍ، غاراتٍ، وردّ فعلٍ، وتوغّل وعودة في الشمال، وضربات إخضاعٍ للتمرّد، ولنقض العهد في الشرق، وجهاد وتقدّم في الأندلس وبلاد الفرنجة.

الجبهة الشمالية:

غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان[1] الصائفة سنة ستٍ ومائة.

---

(١) سعيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: وأمه أم ولد، ويعرف بـ(سعيد الخير)، كان حسن السيرة، ومن مُحدّثي الموصل، استقدمه ابن عمه عمر بن عبد العزيز من الموصل إلى دمشق، وولي الغزو في خلافة أخيه هشام.

وغزا معاوية بن هشام بن عبد الملك الصائفة، وعلى أهل الشام ميمون بن مهران[1]، فقطعوا البحر إلى قبرص وذلك سنة سبعٍ ومائة.

وغزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم بجيشٍ في البر.

وافتتح مسلمة بن عبد الملك سنة ثمانٍ ومائة مدينة (قيصرية) من بلاد الروم. وفتح إبراهيم بن هشام بن عبد الملك حصناً من حصون الروم. وكذلك غزا معاوية بن هشام أرض الروم، وبعث أبا محمد البطال[2] على جيشٍ كثيفٍ فافتتح مدناً، وغنم كثيراً.

---

(١) ميمون بن مهران: أبو أيوب الجزري الرقي: أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة فنشأ بها، ثم سكن الرقة. ولد سنة أربعين في العام الذي قُتل فيه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وحدّث عن أبي هريرة، وأم المؤمنين عائشة، وابن عباس، وابن عمر، والضحاك بن قيس الفهري، وأم الدرداء. وروى عنه ابنه عمرو، وسليمان الأعمش، والأوزاعي وخلق سواهم. تسلّم خراج الجزيرة وقضاءها لعمر بن عبد العزيز، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة.

(٢) أبو محمد البطال: عبد الله البطال: قيل: اسم أبيه عمرو، واسم جده علقمة، من أمراء الحرب الشاميين في زمن بني أمية، وكان مقره أنطاكية، وكان على طلائع مسلمة بن عبد الملك، أوقع بالروم الخوف والذلّ، وللعامة حكايات عنه من روايات القصاص، واستشهد في معركةٍ مع الروم سنة اثنتين وعشرين ومائة.

وغزا معاوية بن هشام الصائفة سنة إحدى عشرة ومائة، وكذا غزا أخوه سعيد بن هشام الصائفة في جهة الغرب.

وفي سنة اثنتي عشرة ومائة غزا الصائفة معاوية بن هشام، وافتتح حصوناً في ناحية (ملاطية)[1]. ثم عاد في السنة التي تلتها على رأس صائفة من ناحية (مرعش).

وفي سنة أربع عشرة ومائة غزا الصائفة معاوية بن هشام من الناحية اليسرى، على حين كان أخوه سليمان بن هشام بن عبد الملك على الصائفة من الناحية اليمنى، ومعه أبو محمد عبد الله البطال، وقد قابل سليمان بن هشام ملك الروم قسطنطين بن هرقل، وتمكّن أبو محمد البطال من أسره، فأرسله إلى سليمان بن هشام فسار به إلى أبيه الخليفة هشام بن عبد الملك.

وسار معاوية بن هشام على رأس الصائفة أيضاً سنة ست عشرة ومائة. وفي السنة التي تلتها أيضاً كان

---

(١) ملاطية: مدينة على نهر الفرات في تركيا، كانت من الثغور الشامية.

على رأس الصائفة اليسرى، وكان أخوه سليمان على رأس الصائفة اليمنى.

وغزا الصائفة ابنا الخليفة هشام وهما: معاوية وسليمان، سنة ثماني عشرة ومائة.

وفي سنة تسع عشرة ومائة غزا الوليد بن القعقاع بلاد الروم.

وفي سنة عشرين ومائة غزا بلاد الروم سليمان بن هشام بن عبد الملك.

وفي سنة إحدى وعشرين ومائة غزا الروم مسلمة بن هشام بن عبد الملك.

وفي سنة أربعٍ وعشرين ومائة غزا الصائفة سليمان بن هشام بن عبد الملك، فلقي ملك الروم أليون، فانتصر سليمان على الروم، وغنم.

وقفة تأمّلٍ:

ومما يُلفت الانتباه أن الغزو على هذه الجبهة لم يكن استعداداً عاماً، ولم يكن حملةً واسعةً في سبيل الجهاد، والعمل على نشر الإسلام، وذلك بشنّ هجومٍ يُجبر الأعداء على الخضوع التام لدولة الإسلام، ودفع

الجزية، والدخول في ذمّة المسلمين أو قبول الإسلام، بل كان القتال على شكل غزواتٍ تهدف إلى إثبات قيام دولة الخلافة، وإخافة الروم فلا يجرؤون على الاعتداء على بلاد المسلمين وثغورهم، وإعطاء هيبةٍ للمسلمين في نفوس الروم، فلا يتجاسرون على حدودهم، ويبقى الخوف في قلوب الشعوب المجاورة للروم أيضاً. لذا وجدنا الغزوات سنويةً يتمّ أكثرها في فصل الصيف. فهي على شكل غاراتٍ، ويتولّى قيادة أكثرها أبناء الخليفة. وفي الصيف لا يكون تحمّل للمشاقّ والبرد، ولا تعرّض للمطر والثلج، ولا حرمان للفاكهة والخضار، بل هي متوفّرة في هذا الفصل في بلاد الأعداء من أي مكانٍ دخلها الغزاة. وليست هذه صفات حملات الجهاد التي فيها صبر على المشاق، وعزم على تحقيق الهدف، ورغبة في نوال الأجر، وأمل في الوصول إلى الشهادة. وليس معنى هذا أنه لا توجد أعداد كثيرة بين الغزاة ما كان خروجهم إلّا جهاداً، وما كان انطلاقهم إلّا في سبيل الله، وما كان هدفهم سوى الشهادة غير أن هؤلاء مهما كثر عددهم يبقى أثرهم محدوداً ما دام المخطّط العام للغزو لا يحمل هذا المعنى، والهدف العام للقتال لا يضع هذا الأمر غايةً له، بل إن هذه الغزوات كانت محدودة الأثر في

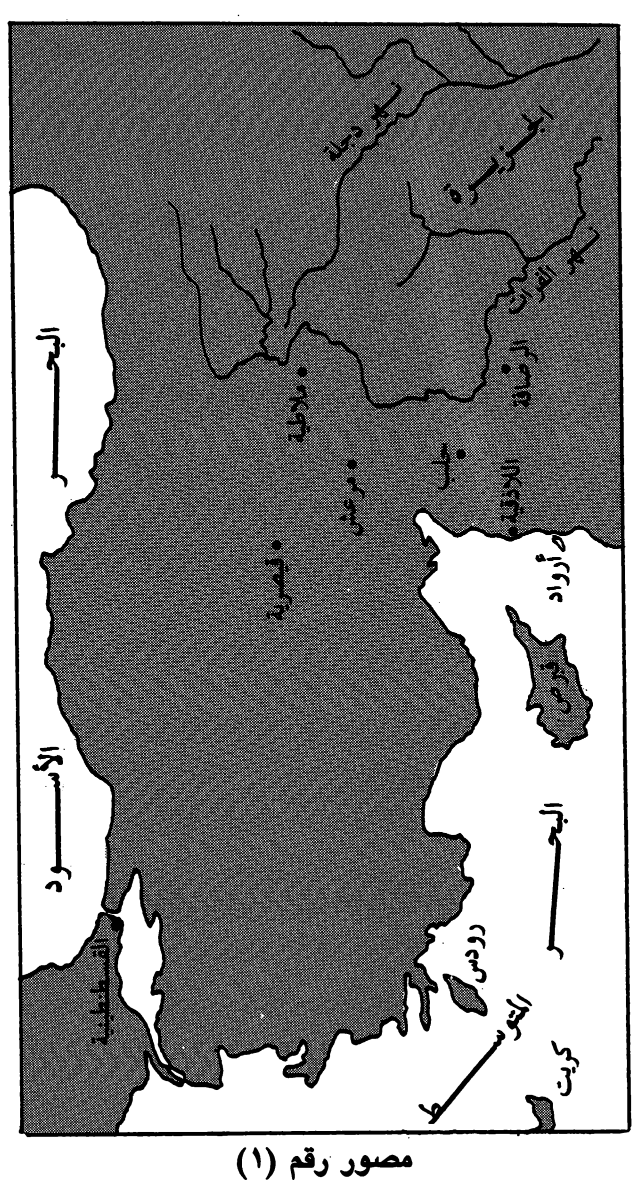
الإعداد والاستعداد، والأهداف والغايات، فهي ليست سوى غزواتٍ لإثبات الوجود، وإخافة العدوّ، وإبقاء الهيبة القائمة في النفوس من الماضي القريب.

لذا لم يكن هناك انتشار للإسلام ولا دعوة له، بل لم يوجد تغيّر بالحدود بين ديار الإسلام وأرض الروم، فالثغور في مواقعها يُرابط فيها المجاهدون خوفاً من غاراتٍ أو وقوع تعدّياتٍ، وإظهاراً للاستعداد، وإعلاناً للمرابطة. ومن هذه الثغور يتقدّم الغزو في بلاد الروم، ويتوغّل في الأعماق، فيحصل على الغنائم، ويرجع بها مع السبي، ويصالح الخصم على (خراجٍ) يختلف بين غزوةٍ وأخرى حسب التوغّل في العمق، ودحر العدوّ، وإبداء الشجاعة، وأخذ الأنفال. فكأن الجهاد انقلب إلى غاراتٍ، والعمل في سبيل الله أصبح حصولاً على غنائم وسبيٍ. وبذا توقّف المدّ الإسلامي، وحدث تأثّر في نفوس المسلمين.

إن النفس المسلمة ترفض هذا الوضع، وتأبى هذا الجمود، وتُنكر هذه الأهداف المادية والرغبات الدنيوية، ولكنها في الوقت نفسه لا تسلك سبيل المرجفين، ولا تعمل عمل المغرضين، بل تنصح وتدعو إلى تصحيح المسار، وتبذل الجهد في ذلك، وتُعطي القدوة بأشخاصها.

وتأثّر الناس بهؤلاء الرجال، وكان التجاوب كبيراً، وكان له آثار سلبية إذ استغلّ بعض أصحاب الأغراض الخبيثة، فردّدوا أقوال الصالحين، ودعوا باسم بعض الصادقين، واتّخذوهم رمزاً لمن يدعون، وهم يرومون أشياء أخرى ويرمون إلى الهدم، وهذا ما عمله الذين رفعوا شعار الدعوة العباسيّة، وتستّروا بها، وهم يبغون هدم الإسلام عصبيةً لسلطان قومهم الذي زال، ولدولتهم التي قُضي عليها، ولمجوسيّتهم التي انتهت، فأظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، وقد ساءهم أن رأوا أكثر بني قومهم قد دخلوا في الإسلام صادقين، وأخلصوا لما آمنوا به.

غدا الذين يحملون معاول الهدم يعملون بين قومهم، ويتّخذون العاطفة وسيلةً لهم. وعندما سنحت لهم الظروف وواتتهم الفرصة تصرّفوا بحقد وسوء كالقتل الإجرامي، ونبش القبور، فأساءوا للتاريخ وللإسلام، إذ حملت تلك الأفعال اسم المسلمين؛ إذ نُسبت إليهم، وهم منها برآء.


البحر الأسود
نهر دجلة
الجزيرة
نهر الفرات
الرصافة
ملطية
مرعش
حلب
اللاذقية
أرواد
قيصرية
قبرص
البحر المتوسط
رودس
كريت
القسطنطينية

مصور رقم (١)

الجبهة الشرقية:

غزا مسلم بن سعيد فرغانة لتفاهم الخاقان فيها مع أهل الصغد، فلقيه الترك، وجرت بين الطرفين معركة هائلة، قُتل فيها الخاقان وعدد كبير من الترك.

وغزا الحجاج بن عبد الملك بلاد (اللان) فقتل خلقاً كثيراً، وغنم.

وتوغّل الجراح بن عبد الله الحكمي في أرض الخزر فصالحوه، وأعطوه الجزية والخراج.

وغزا سنة سبعٍ ومائة أسد بن عبد الله القسري منطقة الطالقان، ومنطقة هراة. وولى على بلخ وما حولها برمك (والد خالد بن برمك)، وحصّن مدينة بلخ بعد أن بناها بناءً جديداً، وجعلها معقلاً للمسلمين.

وفي سنة إحدى عشرة ومائة قاتل الجنيد بن عبد الرحمٰن الترك، ولم يكن معه سوى سبعة آلافٍ مما أطمع الترك فيه، وكاد الجنيد أن يهلك، غير أنه ثبت وصدق فنصره الله على أعدائه فهزمهم هزيمةً منكرةً، وأسر ابن أخي ملكهم، وبعث به إلى الخليفة بدمشق.

وسارت الترك من منطقة اللان سنة اثنتي عشرة ومائة، فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمي فيمن معه

من أهل الشام وأذربيجان، فاقتتلوا قبل أن يتكامل جيشه، فاستشهد ـ رحمه الله ـ وجماعة معه في مرج (أردبيل)، وأخذ العدو مدينة (أردبيل). فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الحرشي بجيش، وأمره بالإسراع إليهم، فلحق الترك، وهم يسيرون بأسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان، فاستنقذ منهم الأسارى، ومن كان معهم من نساء المسلمين، ومن أهل الذمّة أيضاً. وقتل من الترك مقتلةً عظيمةً جداً، وأسر منهم خلقاً كثيراً، فقتلهم صبراً. ولم يكتف الخليفة هشام بن عبد الملك بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك، فسار إليهم في بردٍ شديدٍ وشتاءٍ عظيمٍ، فوصل إلى باب الأبواب، واستخلف عنه أميراً فيها، وسار هو بمن معه في طلب الترك وملكهم خاقان. فأوغل في بلادهم، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ودانت له تلك الممالك من ناحية (بلنجر). وبعث مروان بن محمد بن مروان والي أرمينية بعثين إلى بلاد اللان، ففتحوا حصوناً، ونزل كثير منهم على الأمان، وذلك سنة سبع عشرة ومائة.

عمل أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان في سنة تسع عشرة ومائة نيابةً عن أخيه خالد على العراق، ثم سار بجيوشه إلى مدينة خُتّل فافتتحها، وتفرّقت في

أرضها جنوده يقتلون ويأسرون ويغنمون، فجاءت العيون إلى ملك الترك خاقان أن جيش أسد قد تفرّق في بلاد خُتّل، فاغتنم خاقان هذه الفرصة فركب من فوره في جنوده قاصداً إلى أسد، وتزوّد خاقان وأصحابه بالسلاح الكثير والمؤونة الكافية، وساروا في حنقٍ عظيمٍ، وجاء إلى أسدٍ من أعلمه بقصد خاقان له في جيشٍ عظيمٍ كثيفٍ، فتجهّز لذلك وأخذ أُهبته، فأرسل من فوره إلى أطراف جيشه فجمعها، وأشاع المرجفون أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون إليه، فردّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل تدميرهم في تدبيرهم، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الإسلام، وازدادوا حنقاً على عدوّهم، وعزموا على الأخذ بالثأر، فقصدوا الموضع الذي فيه أسد، فإذا هو حيّ قد اجتمعت عليه العساكر من كل جانبٍ.

وسار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح، وأراد أن يخوض نهر بلخ، وكان معهم أغنام كثيرة، فكره أسد أن يتركها وراء ظهره، فأمر كل فارسٍ أن يحمل بين يديه شاةً، وعلى عنقه شاةً، وتوعّد من لم يفعل ذلك بقطع اليد، وحمل هو معه شاةً، وخاضوا النهر، فما خلصوا منه جيداً حتى دهمهم خاقان من

ورائهم، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة. فلما وقفوا على حافة النهر أحجموا، وظنّ المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر، فتشاور الأتراك فيما بينهم، ثم اتفقوا على أن يحملوا حملةً واحدةً ـ وكانوا خمسين ألفاً ـ فيقتحمون النهر، فضربوا بكؤساتهم ضرباً شديداً حتى ظنّ المسلمون أنهم معهم في عسكرهم، ثم رموا بأنفسهم في النهر رميةً واحدةً، فجعلت خيلهم تنخر أشدّ النخير، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين، فثبت المسلمون في معسكرهم، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقاً لا يخلصون إليهم منه، فبات الجيشان تتراءى ناراهما، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين، فقتل منهم خلقاً، وأسر أمماً، وأخذ إبلاً.

ثم إن الجيشين تواجهوا في يوم عيد الفطر، حتى خاف جيش أسدٍ أن لا يُصلّوا صلاة العيد، فما صلّوها إلّا على وجلٍ، ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بَلْخ حتى انقضى الشتاء، فلما كان عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقان، أو في التحصّن ببلخ، فمنهم من أشار بالتحصّن، ومنهم من أشار بملتقاه والتوكّل على الله، فوافق ذلك رأي أسد الأسد، فقصد بجيشه نحو خاقان،

وصلّى بالناس ركعتين أطال فيهما، ثم دعا بدعاءٍ طويلٍ، ثم انصرف وهو يقول: نُصرتم إن شاء الله، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان، فقتل المسلمون خلقاً، وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه، ثم سار أسد فانتهى إلى أغنامهم فاستاقها فإذا هي مائة وخمسون ألفاً من الشياه. ثم التقى معهم، وكان مع خاقان أربعة آلافٍ أو نحوها، ومعه رجل من العرب قد خامر إليه[1]، يقال له: الحارث بن شُريح، فهو يدلّهم على عورات المسلمين، فلما أقبل الناس هربت أتراك في كل جانبٍ، وانهزم خاقان ومعه الحارث بن شريح يحميه ويتبعه، فتبعهم أسد.

فلما كان عند الظهيرة انخذل خاقان في أربعمائةٍ من أصحابه، عليهم الخزّ، ومعهم الكؤسات، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤسات فضربت ضرباً شديداً، ضرب الانصراف ثلاث مراتٍ، فلم يستطيعوا الانصراف، فتقدّم المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه بما فيه من الأمتعة العظيمة، والأواني من الذهب والفضّة، والنساء والصبيان من الأتراك، ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم مما لا يحدّ

(١) خامر إليه: انضم إليه.

ولا يوصف لكثرته وعظمته وقيمته وحسنه، غير أن خاقان لما أحسّ بالهلاك ضرب امرأته بخنجر فقتلها. فوصل المسلمون إلى المعسكر، وهي في آخر رمقٍ تتحرّك، ووجدوا قدورهم تغلي بأطعمتهم. وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن، فتحصّن بها. فاتّفق أنه لعب بالنرد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير، فتوعّده خاقان بقطع اليد، فحنق عليه ذلك الأمير، ثم عمل على قتله فقتله، وتفرّقت الأتراك يغدو بعضها على بعضٍ، وينهب بعضهم بعضاً، وبعث أسد إلى أخيه خالدٍ يُعلمه بما وقع من النصر[1].

وغزا أسد القسري بلاد الترك، فعرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألفٍ، فلم يقبل منه شيئاً، وأخذه قهراً فقتله صبراً بين يديه، وأخذ مدينته وقلعته وحواصله ونساءه وأمواله.

وغزا إسحاق بن مسلم العقيلي تومانشاه، وافتتحها وخرّب أراضيها سنة عشرين ومائة. وكذلك غزا مروان بن محمد أمير الجزيرة وأرمينيا بلاد الترك.

وفي سنة إحدى وعشرين ومائة، افتتح مروان بن محمد بن مروان بلاد سرير الذهب، وهي بين اللان وباب الأبواب، وأخذ القلاع، وخرّب الأرض، فأذعن

---

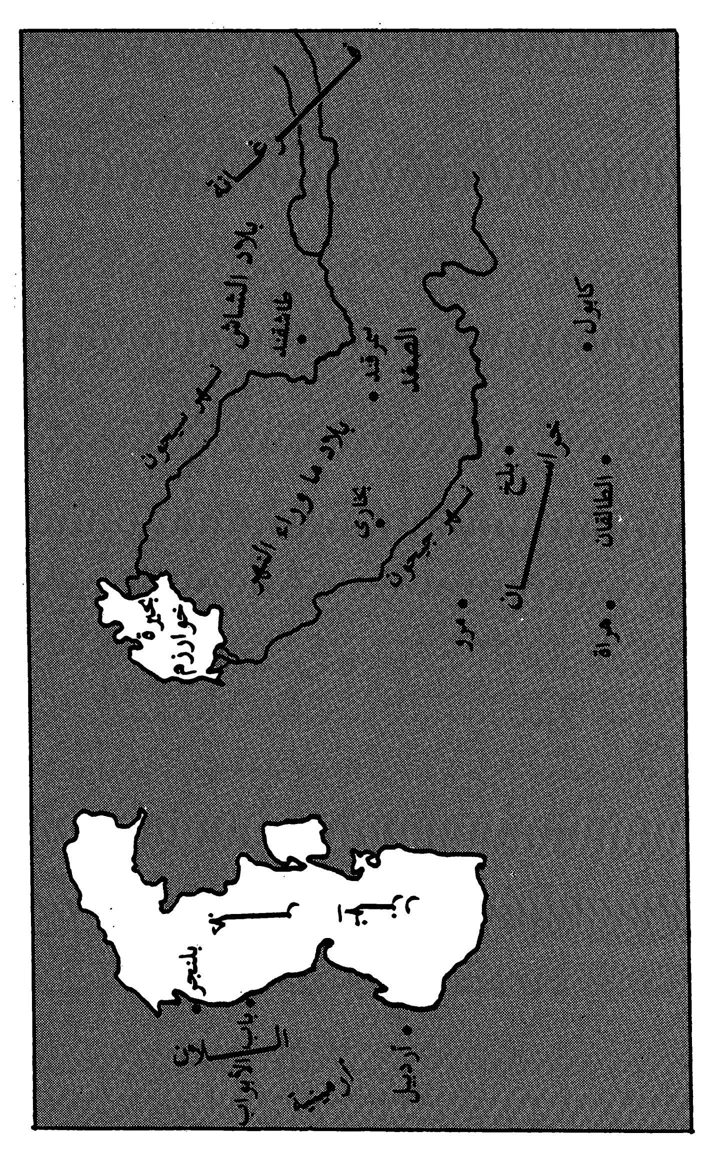
(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

له صاحبها بالجزية في كل سنةٍ بألف رأسٍ يؤدّيها إليه، وأعطاه رهناً على ذلك.

وغزا نصر بن سيّار أمير خراسان غزواتٍ متعدّدةً في الترك سنة إحدى وعشرين ومائة، وأسر ملكهم (كورصول) في بعض تلك الحروب وهو لا يعرفه، فلما تيقّنه وتحقّقه سأل منه (كورصول) أن يُطلقه على أن يرسل له ألف بعيرٍ من إبل الترك ـ وهي البخاتي ـ وألف برذون، وهو مع ذلك شيخ كبير جداً، فشاور نصر من بحضرته من الأمراء في ذلك، فمنهم من أشار بإطلاقه، ومنهم من أشار بقتله. ثم سأله نصر بن سيّار: كم غزوت من غزوة؟ فقال: ثنتين وسبعين غزوةً، فقال له نصر: ما مثلك يُطلق، وقد شهدت هذا كلّه، ثم أمر به فضُربت عنقه، وصُلب، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله باتوا تلك الليلة يجعرون ويبكون عليه، وجذّوا لحاهم وشعورهم، وقطعوا آذانهم، وحرقوا خياماً كثيرةً، وقتلوا أنعاماً كثيرةً، فلما أصبح أمَرَ نصر بإحراقه لئلا يأخذوا جثته، فكان حريقه أشدّ عليهم من قتله، وانصرفوا خائبين صاغرين خاسرين.

ثم كرّ نصر بن سيار على بلادهم فقتل كثيراً، وأسر كثيراً.

وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة غزا نصر بن سيار فرغانة للمرة الثانية.


بلاد الشاش
نهر سيحون
سمرقند
الصغد
بلاد ما وراء النهر
بخارى
بحيرة خوارزم
نهر جيحون
بلخ
خراسان
مرو
هراة
الطالقان
كابول
أردبيل
أرمينية

مصور رقم (٢)

درس وعبرة:

إن ما كان يجري من قتالٍ على هذه الجبهة لم يكن يقصد منه نشر الإسلام ولا الجهاد في سبيل الله، بل كان يهدف إلى قمع فتنةٍ أو تأديب معتدٍ أو ضرب ثائرٍ. فالعدوّ هو الذي يقاتل، ونحن نقوم بالردّ لأن فكرة الجهاد غائبة، وهذا ما يُطمع العدوّ، فيتحرّك حقداً، أو انتقاماً حسب زعمه، ونحن أُمِرنا ألا ندع كفاراً يجاوروننا، وعلينا قتالهم أو يُسلمون وليس سوى ذلك أبداً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[1]. وهذا هو الجهاد، غير أننا تركنا الجهاد فتطاول علينا الكفّار. كما لا يحقّ للمسلمين أن يأخذوا من الكفار أي شيء تحت أي مُسمّىً من المسمّيات سواء أكان جزيةً أم خراجاً أم مصالحةً. . . فليس أمام الكفار سوى الإسلام، أو اعتناق إحدى ديانتي أهل الكتاب مع دفع الجزية والدخول في ذِمّة المسلمين أو السيف. وقد ترك المسلمون هذا المبدأ في تلك المرحلة من التاريخ فكانوا إذا تحرّك أحد الكفار،

---

(١) سورة التوبة: ١٢٣.

وأغار على المسلمين، وعاث في الأرض الفساد، هبّوا يُقاتلونه فإذا ظفروا به أظهر الذلّة والمسكنة أمامهم، وأبدى الخضوع التام، وقدّم لهم قدراً سنوياً من المال وعدداً من رؤوس السبي في كل عامٍ كنوعٍ من الجزية أو الخراج، وهذا ما أضعف فكرة الجهاد أو غيّر مدلولها، فغدت دفاعاً وردّاً على الهجوم والغارة والغزو، ووسيلةً للحصول على المغانم والسبي. وفي الوقت نفسه أصبح الكفار يتأهّبون للانتقام، وتخلّصاً مما يُؤدّون ويتكلّفون، وعداوةً وعناداً، وفوق كل ذلك كفراً.

هذه المخالفات الشرعية جعلت المنطقة في فوضى، والسكان في حالة مُنغّصةٍ، والمدّ الإسلامي في توقّف وبذا حُرم جزء واسع من العالم من نور الهداية.

الأندلس:

عندما بويع هشام بن عبد الملك بالخلافة كان والي الأندلس عنبسة بن سُحيم الكلبي منذ شهر صفر سنة ثلاثٍ ومائة في عهد يزيد بن عبد الملك. وكان عنبسة رجل تقوى وورعٍ، ورجل إدارةٍ وحزمٍ، وفي الوقت نفسه صاحب قيادةٍ، وفن قتالٍ. وقد استقام أمر

الأندلس في عهده، ولما اطمأن إلى وضع البلاد اتّجه للجهاد في بلاد الفرنجة (فرنسا)، وكانت وشمال غربي الأندلس مجال الجهاد.

دخل عنبسة بن سحيم مقاطعة سبتمانية (المدن السبع)، وتوغّل نحو الشرق قليلاً ثم توجّه نحو الشمال فسار في وادي نهر الرون (رودونة)، ودخل مدينة ليون (لوذون) وتابع سيره شمالاً مع انعطافٍ قليل نحو الغرب حتى وصل إلى مدينة (سانس) على أحد روافد نهر (السين).

رأى عنبسة نفسه قد توغّل كثيراً في عمق بلاد الفرنجة فأحبّ أن يوطّد الوضع في الأماكن التي فتحها، ويمكّن للإسلام فيها، فعاد نحو الجنوب إلى قاعدة المسلمين في (ناربونة) جنوبي بلاد الفرنجة، وأثناء عودته استُشهد في معركةٍ جانبيةٍ في شهر شعبان سنة سبعٍ ومائة.

اختار أهل الأندلس عُذْرة بن عبد الله الفهري والياً عليهم حتى يأتيهم تعيين الوالي الجديد، وبقي عذرة والياً ما يقرب من شهرين إذ جاءهم يحيى بن سلمة الكلبي والياً في شهر شوال سنة سبعٍ ومائة.

بقي يحيى بن سلمة الكلبي والياً على الأندلس سنتين وستة أشهر.

ثم جاء حذيفة بن الأحوص القيسي (الأشجعي) في شهر ربيع الأول سنة عشر ومائة. أي لم تطل مدة ولايته إلى أكثر من ستة أشهرٍ.

وبعدئذٍ تولّى أمر الأندلس عثمان بن أبي نِسْعة الخثعمي لمدة خمسة أشهرٍ أيضاً.

وجاء إلى الأندلس بعد ذاك الهيثم بن عدي الكلابي (الكناني) في شهر المحرم سنة إحدى عشرة ومائة، ورغم أن مدة ولايته كانت قصيرةً لا تزيد على أحد عشر شهراً إلّا أنه اجتاز جبال البرانس، ودخل بلاد الفرنجة مجاهداً حتى وصل إلى مدينة (ماسون) شمال مدينة (ليون)، وعمل في حركته هذه على توطيد الأوضاع في هذه الأجزاء المفتوحة من بلاد الفرنجة.

وتولّى أمر الأندلس بعد الهيثم بن عدي في أواخر سنة إحدى عشرة ومائة محمد بن عبد الله الأشجعي، وبقي في الولاية مدة شهرين فقط.

وجاء إلى ولاية الأندلس عبد الرحمٰن الغافقي في صفر سنة اثنتي عشرة ومائة، وهي الولاية للمرة الثانية،

إذ كانت ولايته الأولى بعد استشهاد السمح بن مالك الخولاني في جنوبي بلاد الفرنجة في شهر ذي الحجة سنة اثنتين ومائة، ولم تزد تلك الولاية على الشهرين إذ جاء الأمر بتولية عنبسة بن سحيم الكلبي في شهر صفر سنة ثلاثٍ ومائة، ورغم قصر مدة هذه الولاية إلّا أنه قد عرف خلالها أوضاع الأندلس، ودرس أحوالها، لذا ما أن جاءت الولاية الثانية في صفر من سنة اثنتي عشرة ومائة حتى هيّأ الجيش وأعدّ الأُهبة، وانطلق للجهاد في سبيل الله.

رأى عبد الرحمٰن الغافقي أن المسلمين قد توغّلوا في المناطق الشرقية داخل بلاد الفرنجة حتى اقتربوا من باريس عن طريق وادي نهر الرون، ومجرى روافد نهر السين، كما دخلوا المناطق الجنوبية إذ فتحوا حوض أكيتانيا ـ وإن بقيت المناطق الجبلية في منأى عن المسلمين ـ لذا رأى عبد الرحمٰن الغافقي أن يتقدّم في الجهات الغربية حتى يصل إلى ما وصل إليه عنبسة بن سحيم الكلبي؛ أي إلى بلدة (سانس)، فإذا تمّ له ما أراد التفت إلى المناطق التي تمّ فتحها وقد اتصلت بعضها مع بعضٍ وعمل على تنظيمها، والتمكين للإسلام فيها.

خرج عبد الرحمٰن الغافقي في ثمانية آلافٍ من

ناربونة قاعدة المسلمين في جنوبي بلاد الفرنجة، وأعاد فتح أكيتانيا، كما ضمّ إليه وادي الرون ثانيةً، وتقدّم من جهة الغرب نحو الشمال حتى وصل إلى (بواتييه)، في حوض نهر اللوار جنوب مدينة (تور). وكان دوق أكيتانيا قد استعان بالفرنجة، فجمع شارل مارتل جنداً كثيراً أكثرهم من العراة، وانطلق بهم يريد المسلمين، فالتقى الجمعان إلى الشمال قليلاً من بواتييه، وبدأت مناوشات استمرّت ثمانية أيامٍ ثم جرت المعركة، ووقع اضطراب في صفوف المسلمين، وأُصيب عبد الرحمٰن الغافقي، واختلفت كلمة رؤساء الجند، فانسحبوا ليلاً دون علم الفرنجة، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة، وعرفت تلك المعركة باسم (بلاط الشهداء). وانسحب المسلمون من كثيرٍ من المناطق التي دخلوها من بلاد الفرنجة، ولم يبق لهم سوى مقاطعة سبتمانيا.

وجاهد عبد الملك بن قطن الفهري في بلاد الفرنجة بعد معركة بلاط الشهداء، وإن كان الجهاد قد اتّصف بعد تلك المرحلة بالحذر. وقام عقبة بن الحجاج السلولي بدور في الجهاد حيث قاتل الإسبان في شمال غربي الأندلس، كما اجتاز جبال البرانس، وقاتل الفرنجة، واستشهد في معركةٍ عند مدينة (قرقشونة) في شهر صفر سنة ثلاثٍ وعشرين ومائة.

وقفة تدبّر:

كانت مدة والي الأندلس في هذه المرحلة قصيرةً غالباً، فكثيراً ما تكون عدة أشهرٍ وقد لا تزيد على الشهرين، وذلك لسيادة العصبيات وانتشار الخلافات، فالعرب والبربر، والقيسية واليمانية، والشامية والإفريقية و... فإذا ما جاء الوالي من مجوعةٍ انطلقت الألسن من مجموعاتٍ ثانيةٍ، وأُوّل الكلام، وزاد الحديث، وكَثُر اللغط، وانتشرت الشائعات، وأُرسلت الكتب، وبُعثت الوفود إلى دمشق، وكلها تدور حول الوالي. فإن لم يستمع الخليفة، وبقي الوالي في مكانه تفاقمت الخلافات، وخُشي من وقوع الفتن، وهذا ما يُنذر بالخطر، لذا لم يجد الخليفة بُدّاً من التغيير فيفعل، وليس أمامه سوى ذلك.

لم يكن أمام الوالي الوقت الكافي ليتعرّف على الرجال، ويُقدّر الإمكانات، ويختبر الطاقات، ويُجري الاستعدادات، حتى يأتي الأمر بعزله. وإذا جاء بعض الولاة الذين تظهر تقواهم، وتبدو نزاهتهم فإن العصبية تتأخّر لتُؤدّي دورها، مما يجعل مدة ولايتهم تطول نسبياً فينطلقون للجهاد، ويعملون على نشر الإسلام، مثل: عنبسة بن سحيم الكلبي، الذي تولّى أربع سنواتٍ وستة

أشهر، وعبد الرحمٰن الغافقي الذي تولّى سنتان وثمانية أشهر، وعقبة بن الحجاج السلولي الذي تولّى سبع سنواتٍ وشهرين. وثلاثتهم نالوا الشهادة داخل بلاد الفرنجة مجاهدين.

وليت ينتبه إلى هذا أولئك الذين تُعشعش في عقولهم العصبيات وهم يحسبون أنهم يقولون حقاً، ويُجيدون قولاً، ويُحسنون صنعاً، ويُؤدّون واجباً، ويردّون باطلاً، فيتعصبون للتنظيم، وللرأي، وللقائد، وللشيخ، وللإقليم، وللمدينة و... ولهذه الرموز القائمة، وإذا كان أحدهم يقول حقاً من جانبٍ، فهو يُجانبه من عدة جوانبٍ ولكنه لا ينظر إلّا إلى ذلك الخيط الرفيع من الحق فيجعله حبلاً، ولا يلتفت إلى الخيوط الأخرى الغليظة إذ لا يراها أبداً، وربما رآها بعضهم شعيرات دقيقة وذلك في أحسن الأحوال، وقد يُعدّ ذاك منصفاً لطغيان العصبية هذا في الوقت الذي يتمزّق فيه المسلمون، وتتكالب عليهم الدنيا، وحتى عصفت الريح بأطرافهم فجعلتهم في الطرف المقابل، يرى ذلك كل ذي بصيرة، وفي التاريخ عبرة، فاعتبروا يا أُولي الألباب.

فليعتبر من يريد الحق، وإليه يدعو.

ولاة الأندلس
في عهد هشام بن عبد الملك

١ ـ عنبسة بن سُحيم الكلبي: ١٠٣ ـ ١٠٧هـ. أربع سنوات وستة أشهر.

٢ ـ عُذْرة بن عبد الله الفهري: ١٠٧ ـ ١٠٧هـ. مدة شهرين.

٣ ـ يحيى بن سلمة الكلبي: ١٠٧ ـ ١١٠هـ. سنتان وستة أشهر.

٤ ـ حذيفة بن الأحوص القيسي: ١١٠ ـ ١١٠هـ. ستة أشهر.

٥ ـ عثمان بن أبي نسعة الخثعمي: ١١٠ ـ ١١٠هـ. خمسة أشهر.

٦ ـ الهيثم بن عدي الكلابي: ١١١ ـ ١١١هـ. أحد عشر شهراً.

٧ ـ محمد بن عبد الله الأشجعي: ١١١ ـ ١١٢هـ. شهران.

٨ ـ عبد الرحمٰن بن عبد الله الغافقي: ١١٢ ـ ١١٤هـ. سنتان وثمانية أشهر.

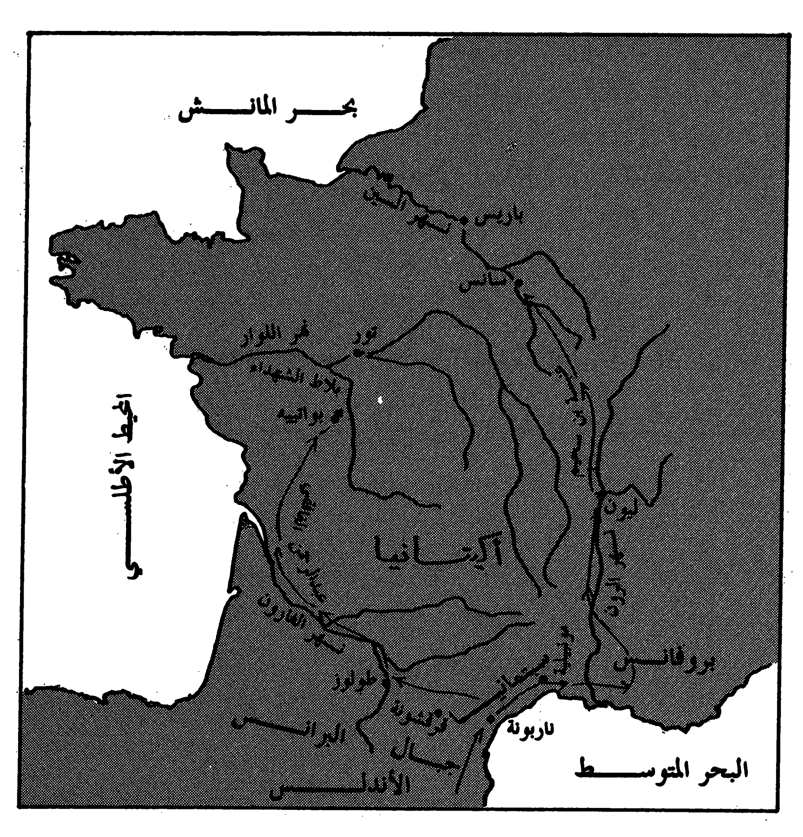
٩ ـ عبد الملك بن قطن الفهري: ١١٤ ـ ١١٦هـ. سنتان.

١٠ ـ عقبة بن الحجاج السلولي: ١١٦ ـ ١٢٣هـ. سبع سنوات وشهران.

١١ ـ عبد الملك بن قطن الفهري: ١٢٣ ـ ١٢٤هـ. سنة واحدة وشهر واحد «للمرة الثانية».

١٢ ـ بلج بن بشر القشيري: ١٢٤ ـ ١٢٤هـ. تسعة أشهر.

١٣ ـ ثعلبة بن سلامة العاملي: ١٢٤ ـ ١٢٥هـ. عشرة أشهر.


بحر المانش
باريس
سانس
نهر اللوار
تور
بلاط الشهداء
بواتييه
المحيط الأطلسي
آكيتانيا
نهر الجارون
طولوز
البرانس
جبال
الأندلس
ناربونة
البحر المتوسط
بروفانس
ليون

مصور رقم (٣)

الفصل الرابع

شخصية هشام بن عبد الملك

* كان هشام بن عبد الملك جميلاً، أبيض، أحول، يُخضّب بالسواد.

* كان في خلافته حازم الرأي، جمّاعاً للأموال ببخلٍ. وكان ذكياً مُدبّراً، له بصر بالأمور جليلها وحقيرها، وكان فيه حلم وأناة.

* شتم مرةً رجلاً من الأشراف، فقال: أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض؟ فاستحيى وقال: اقتصّ مني بدلها ـ أو قال بمثلها ـ فقال: إذن أكون سفيهاً مثلك، قال: فخذ عوضاً، قال: لا أفعل، قال: فاتركها لله، قال: هي لله ثم لك، فقال هشام عند ذلك: والله لا أعود إلى مثلها.

* أسمع رجل هشاماً كلاماً، فقال: أتقول لي مثل هذا وأنا خليفتك؟

* غضب مرةً على رجلٍ فقال له: اسكت وإلّا ضربتك سوطاً.

* أغلظ لهشام رجل يوماً في الكلام، فقال: ليس لك أن تقول هذا لإمامك.

* تفقّد هشام بن عبد الملك أحد ولده يوم الجمعة فلم يجده، فبعث إليه: ما لك لم تشهد الجمعة؟ فقال: إن بغلتي عجزت عني، فبعث إليه: ألا يمكنك المشي؟ ومنعه أن يركب سنةً، وأن يشهد الجمعة ماشياً.

* قال عبد الله بن علي - عمّ أبي العباس السفاح، وقائد جيوش العباسيين في الشام -: جمعت دواوين بني أمية، فلم أرَ أصلح للعامّة والسلطان من ديوان هشام.

* قال المدائني عن هشام بن عبد الحميد: لم يكن أحد من بني مروان أشدّ نظراً في أصحابه ودواوينه، ولا أشدّ مبالغةً في الفحص عنهم من هشام.

* كان هشام بن عبد الملك من أكره الناس لسفك الدماء، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن عليّ وابنه يحيى، وقال: وددت أني أفديتهما بجميع ما أملك.

* ذُكر أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم يبكون حوله فقال: جاد لكم هشام بالدنيا، وجُدتم عليه بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم له ما كسب، ما أسوأ منقلب هشام إن لم يغفر الله له.

* كان نقش خاتمه «الحكم للحكم الحكيم».

* يُقال أن هشاماً لم يقل من الشعر سوى هذا البيت:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى
إلى كل ما فيه عليك مقال[1]

* قال مروان بن شجاع، مولى لمروان بن الحكم: كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك، فأرسل إليّ يوماً، فدخلت عليه، وقد غضب وهو يتلهف، فقلت: ما لك؟ فقال: رجل نصراني شجّ غلامي ـ وهو يشتمه ـ فقلت له: على رسلك، قال: فما أصنع؟ قلت: ترفعه إلى القاضي، قال: وما غير هذا! قلت: لا، قال خصيّ له: أنا أكفيك، فذهب فضربه. وبلغ هشاماً فطلب الخصيّ، فعاذ بمحمد بن هشام، فقال محمد بن هشام: لم آمرك، وقال الخصيّ: بلى والله لقد أمرتني، فضرب هشام الخصيّ وشتم ابنه.

---

(١) البداية والنهاية.

* لم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلّا عليه الغزو، فمنهم من يغزو، ومنهم من يخرج بدلاً.

* كتب سليمان بن هشام إلى أبيه: إن بغلتي قد عجزت عني، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابةٍ فعل. فكتب إليه: قد فهم أمير المؤمنين كتابك، وما ذكرت من ضعف دابتك، وقد ظنّ أمير المؤمنين أن ذلك من قلّة تعهّدك لعلفها، وأن علفها يضيع، فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك، ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك.

* أُقطع هشام أرضاً يقال لها (دورين)، فأرسل في قبضها، فإذا هي خراب، فقال لذُوَيْد (كاتب كان بالشام): ويحك، كيف الحيلة؟ قال: ما تجعل لي؟ قال: أربعمائة دينارٍ، فكتب «دورين وقراها»، ثم أمضاها في الدواوين، فأخذ شيئاً كثيراً، فلما ولي هشام دخل عليه (ذُوَيْد) فقال له هشام: دورين وقراها، لا والله لا تلي لي ولايةً أبداً، وأخرجه من الشام.

* قال بعض آل مروان لهشام: أتطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان؟ قال: ولِمَ لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف.

قدم علباء بن منظور الليثي على هشام فأنشده:

قالت عُليّةُ واعتزمت لرحلةٍ
زوراء بالأذنين ذات تسدّر

أين الرحيل وأهل بيتك كله
كَلّ عليك كبيرهم كالأصغر

فأصاغر أمثالُ سِلكان القطا
لا في ثرى مالٍ ولا في معشر

إني إلى ملك الشآم لراحلٌ
وإليه يَرحل كلّ عبدٍ موقر

فلأتركنّك إن حييتُ غنيّةً
بندى الخليفة ذي الفعال الأزهر

إنا أناس ميت ديواننا
ومتى يصبه ندى الخليفة ينشر

فقال له هشام: هذا الذي كنت تحاول، وقد أحسنت المسألة، فأمر له بخمسمائة درهم، وألحق له زيادة في العطاء[1].

* عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: أراد هشام بن عبد الملك أن يولّيني خراج مصر، فأبيت، فغضب حتى

---

(١) تاريخ الطبري.

اختلج وجهه، وكان في عينيه الحول، فنظر إليّ نظر منكرٍ، وقال: لَتلينَنّ طائعاً، أو لَتلينَنّ كارهاً، فأمسكت عن الكلام حتى سكن غضبه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتكلم؟ قال: نعم، قلت: إن الله قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[1]. فوالله يا أمير المؤمنين، ما غضب عليهن إذ أبين ولا أكرههن إذ كرهن، وما أنا بحقيق أن تغضب عليّ إذ أبيت، وتكرهني إذ كرهت، فضحك وأعفاني[2].

* قال خالد بن صفوان: وفدت على هشام بن عبد الملك فقال: هات يا ابن صفوان، قلت: إن ملكاً من الملوك خرج متنزهاً إلى الخورنق، وكان ذا علمٍ مع الكثرة والغلبة، فنظر وقال لجلسائه: لمن هذا؟ قالوا: للملك. قال: فهل رأيتم أحداً أُعطي مثل ما أُعطيت؟ وكان عنده رجل من بقايا حمَلة الحُجّة، فقال: إنك قد سألت عن أمرٍ، أفتأذن لي بالجواب؟ قال: نعم، قال: أرأيت ما أنت فيه، أشيء لم تزل فيه أم شيء صار

---

(١) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٢) تاريخ ابن عساكر.

إليك ميراثاً وهو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذا هو، قال: فتعجب بشيءٍ يسيرٍ لا تكون فيه إلّا قليلاً، وتُنقل عنه طويلاً فيكون عليك حساباً، قال: ويحك فأين المهرب؟ وأين المطلب؟ وأخذته قشعريرة، قال: إما أن تُقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله بما ساءك وسرّك، وإما أن تنخلع من ملكك، وتضع تاجك، وتلقي عنك أطمارك، وتعبد ربك، قال: إني مفكر الليلة وأوافيك السحر، فلما كان السحر قرع عليه بابه، فقال: إني اخترت هذا الجبل، وفلوات الأرض، وقد لبست عليّ أمساحي، فإن كنت لي رفيقاً لا تخالف، فلزما الجبل حتى ماتا، وفيه يقول عدي بن زيد العبادي:

أيها الشامت المعير بالدهـ
ـر أأنت المبرّأ الموفور؟
أم لديك العهد الوثيق من الأيْـ
ـيَام؟ بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلّدن أم من
ذا عليه من أن يُضام خفير؟
أين كسرى كسرى الملوك أبو سا
سان أم أين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوك الرْ

ـرُوم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ

ـلة تجبى إليه والخابور

شاده مرمراً وجلّله كِلـ

ـساً فللطير في ذراه وكور

لم يَهَبْهُ ريب المنون فباد الـ

ـملك عنه فبابه مهجور

وتذكر ربّ الخورنق إذ أشـ

ـرف يوماً وللهدى تذكير

سرّه ماله وكثرة ما يمـ

ـلك والبحر معرض والسدير

فارعوى قلبه وقال: وما غبـ

ـطة حيٍّ إلى الممات يصير

ثم بعد الفلاح والملك والأمْـ

ـمَة وارتهم هناك قبور

ثم صاروا كأنهم ورق جفْـ

ـفَ فألوت به الصبا والدبور

فبكى هشام حتى اخضلّت لحيته، وأمر بابنتيه، وطي فرشه، ولزم قصره، فأقبلت الموالي والحشم على

خالد بن صفوان، وقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين؟ أفسدت عليه لذّته، فقال: إليكم عني، فإني عاهدت الله أن لا أخلو بملكٍ إلّا ذكّرته الله تعالىٰ[1].

* قال ابن عيينة: كان هشام لا يُكتب إليه بكتابٍ فيه ذكر الموت.

* كان هشام مغرىً بالخيل، اقتنى من جيادها ما لا يوصف كثرةً.

* روى أبو عمير بن النحاس، عن أبيه قال: كان لا يدخل بيت المال لهشام شيء حتى يشهد أربعون قسامة: لقد أُخذ من حقه، ولقد أُعطي الناس حقوقهم[2].

---

(١) تاريخ الخلفاء: السيوطي.

(٢) سير أعلام النبلاء.

الفصل الخامس

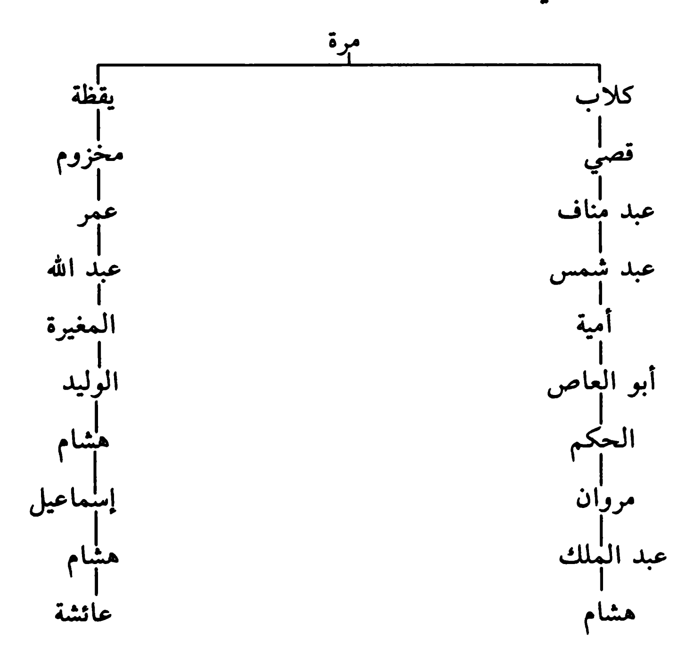
أسرة هشام بن عبد الملك

ينتمي هشام بن عبد الملك إلى قريش أماً وأباً، أما والده فيرجع إلى بني أمية، وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وقد بويع بالخلافة عامةً بعد مقتل عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، في ١٧ جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وسبعين، أما قبل ذلك فقد كان يدّعي الخلافة، ويحكم شطراً من ديار الإسلام، وهي الشام ومصر، ثم شمل ملكه العراق بعد أن دخلها إثر مقتل مصعب بن الزبير أخي الخليفة الشرعي عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، أما ادّعاء عبد الملك الخلافة من سنة أربعٍ وستين حتى ثلاثٍ وسبعين فلم يكن شرعياً، وكذا أبوه مروان بن الحكم من قبله. وتوفّي عبد الملك بن مروان في منتصف شوال سنة ستٍّ وثمانين، فكانت خلافته الشرعية ثلاث عشرة سنةً، وأربعة أشهرٍ، وسبعةً وعشرين يوماً.

وقد تولّى الخلافة أربعة من أبناء عبد الملك وهم: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام.

وثلاثة من أحفاده، وهم: الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد. واثنان من أبناء إخوته وهما: عمر بن عبد العزيز بن مروان، ومروان بن محمد بن مروان.

وأما أم هشام بن عبد الملك فهي: أم هشام عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة من بني مخزوم. وهشام بن الوليد أخو خالد بن الوليد، رضي الله عنه.



وكانت عائشة أم هشام حمقاء، أمرها أهلها ألا تُكلّم عبد الملك حتى تلد، وكانت تَثني الوسائد، وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة، وتشتري الكُنْدُر (اللبان) فتمضغه، وتعمل منه تماثيل، وتضع التماثيل على الوسائد، وقد سمت كل تمثالٍ باسم جاريةٍ، وتنادي: يا فلانة، ويا فلانة، فطلقها عبد الملك لحمقها. وسار عبد الملك إلى مصعب فقتله، فلما قتله بلغه مولد هشام، فسمّاه منصوراً، يتفاءل بذلك، وسمّته أمه باسم أبيها هشام، فلم يُنكر ذلك عبد الملك[1].

زوجات هشام:

تزوج هشام بن عبد الملك عدة زوجات منهن:

١ ـ عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وكانت دارها بدمشق بشمال غربي الجامع، وأمها أم موسى بنت عمرو بن سعيد بن العاص.

كانت من أجمل النساء، فدخل عليها هشام يوماً وعليها ثياب سود رقاق من هذه التي يلبسها النصارى يوم عيدهم فملأته سروراً حين نظر إليها. ثم تأمّلها

---

(١) تاريخ الطبري.

فقطّب، ففطنت، فقالت: ما لك يا أمير المؤمنين، أكرهت هذه، ألبس غيرها؟ قال: لا ، ولكن رأيت هذه الشامة التي على كَشْحِك من فوق الثياب، وبك تذبح النساء ـ وكانت بها شامة في ذلك الموضع ـ أما إنهم سينزلونك عن بغلة شهباء وردية ـ يعني بني العباس ـ ثم يذبحونك ذبحاً.

كانت عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية عند يزيد بن عبد الملك، ثم خلف عليها أخوه هشام. وكانت من أحب الناس إليه، وكانت حولاء جميلةً. فقبض عليها عبد الله بن علي العباسيّ بحمص، ودفعها إلى الكاملي، وقال له: اذهب بها فاذبحها، فلما ضرب بيده إليها أنشأت تقول متمثّلةً:

إذا جـرّ الـزمـان عـلـى أنـاسٍ
كَـلاكِـلـه أنـاخ بـآخـريـنـا
فـقـل لـلـشـامـتـين بـنـا أفـيـقـوا
سيلقى الشامتون كما لقينا
فـإن نَـغـلِـب فـغـلّابـون قِـدمـاً
وإن نُـغْـلَـب فـغـير مُـغـلَّـبـيـنـا
ومـا إن طِـبُّـنـا جُـبْـن ولـكـن
مـنـايـانـا ودولـة آخـريـنـا

فقال لها: يا خبيثة، أتدرين لما أقتلك؟ قالت: لا. قال: إنما أقتلك بامرأة زيد بن عليٍّ. فذهب بها الكاملي فذبحها بخربةٍ بحمص. فيقال: إن السفياني يخرج ثائراً منها.

ويقال: إن عبد الله بن علي أخذها، فكان معها من الجوهر ما لا يدرى ما هو، ومعها درع يواقيت وجوهر منسوج بالذهب، فأخذ ما كان معها، وخلّى سبيلها. فقالت في الظلمة: أيّ دابةٍ تحتي؟ قيل لها: دهماء لظلمة الليل، فقالت: نجوت. فأقبلوا على عبد الله بن عليٍّ، فقالوا: ما صنعت أدنى ما يكون. يبعث أبو جعفر إليها، فتخبره بما أخذت منها، فيأخذه منك، اقتلها. فبعث في أثرها، وأضاء الصبح، فإذا تحتها بغلة شهباء وردة، فلحقها الرسول. فقالت: مه؟ قال: أُمِرْنا بقتلك. قالت: هذا أهون عليّ، فنزلت فشدّت درعها من تحت قدميها، وكُمّيها على أطراف أصابعها، وخمارها، فما رُئي من جسدها شيء، والذي لحقها مولى آل العباس[1].

٢ ـ سَعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق.

عفان، وكانت عند أخيه يزيد بن عبد الملك، وولدت له عبد الله، وعائشة، وأم عمرو. ثم توفي عنها فخلف عليها أخوه هشام بن عبد الملك، وفارقها، ولم تلد له، ولم تتزوج بعده.

٣ ـ أم حكيم بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمها زينب بنت عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام المخزومية. امرأة شاعرة. تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فطلّقها ثم تزوّجها عمه هشام بن عبد الملك، فولدت له يزيد، ومسلمة، ومحمداً، أبناء هشام.

٤ ـ ابنة لأبي بكر بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق: وكان عبد العزيز بن الوليد قد تزوّجها على أم حكيم وحظيت عنده بمكانةٍ عالية حتى طلّق عنها أم حكيمٍ. فتزوّج هشام أم حكيم فلما مات عبد العزيز بن الوليد تزوّج هشام بن عبد الملك ابنة أبي بكر فجمعهما، ثم طلّق ابنة أبي بكر عن أم حكيم. وقال لها: أرضيتك أقدتك منها، طلّقتها عنك كما طلّقك عبد العزيز عنها.

٥ ـ سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن

عثمان: وتُعرف بـ (أم سلمة)، وأمها أم عمر بنت مروان بن الحكم. وكان قد خطبها إلى أبيها الوليد بن يزيد، ولكن لم تحلّ له لأن عنده أختها أم عبد الملك سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان. وتزوّجها هشام بن عبد الملك.

فلما مات هشام، وتولى الخلافة الوليد بن يزيد تزوّج سلمى بنت سعيد، وكان قد فارق أختها، فماتت سلمى بعدما دخل بها الوليد بأربعين يوماً، فبكاها الوليد، فقال:

ألـمـا تـعـلـمـا سـلـمـى أقـام
مُـضـمّـنـةً مـن الـصـحـراء لـحـدا
لـعـمـرك بـالـسـفـاء[1] لـقـد أجـنّـوا
ثـنـا حـسـنـاً ومـكـرمـةً ومـجـدا
ووجـهـاً كـان يـعـظـم إن رآه
شـعـاع الـشـمـس يـكـثـر أن يـفـدّى
فـلـم أرَ مـيـتـاً أبـكـى لـعـيـنٍ
وأكـثـر جـازعـاً وأجـلّ فـقـدا
وأجـدر أن تـرى مـلـكـاً لـديـه
يـريـك جـلادة ويُـسِـرّ وجـدا

---

(١) السفى: تراب القبر.

وبـنـت خـلـيـفـةٍ تـدعـو بـشـكـل
وتـصـدع تـجـسّـداً[1] وتـصـكّ خـدّا

أبناء هشام بن عبد الملك:

كان لهشام خمسة عشر ذكراً، وثلاث بنات:

١ ـ معاوية: وابنه عبد الرحمٰن الداخل الذي انتقل إلى الأندلس، وأسّس دولة بنيٰ أمية هناك. ويكنى معاوية أبا شاكر، تولى الغزو عدة مرات، كان جواداً، توفي في حياة أبيه سنة تسع عشرة ومائة.

٢ ـ خلف.

٣ ـ مسلمة: وأمه أم حكيم بنت يوسف بن يحيى بن الحكم، ويكنى أبا شاكر.

٤ ـ محمد: شقيق مسلمة.

٥ ـ يزيد: شقيق مسلمة ومحمد، ويقال له: يزيد الأفقم.

٦ ـ سليمان: وغزا الروم عدة مراتٍ.

٧ ـ سعيد: قاد الغزو في أرض الروم مراتٍ.

---

(١) مجسّد: الثوب المصبوغ بالزعفران.

٨ ـ عبد الله.

٩ ـ إبراهيم: وتولّى الغزو عدة مراتٍ.

١٠ ـ منذر.

١١ ـ عبد الملك.

١٢ ـ الوليد.

١٣ ـ قريش.

١٤ ـ مروان.

١٥ ـ عبد الرحمٰن.

البنات:

١ ـ أم يحيى: وأمها أم حكيم بنت يوسف بن يحيى بن الحكم.

٢ ـ أم هشام: شقيقة أم يحيى.

٣ ـ أم أبي بكر: شقيقة أم يحيى وأم هشام.

الفصل السّادس

الدعوة العبّاسيّة

مقدمة

إن أول ضربة هدمٍ في الإسلام كانت من معول عبد الله بن سبأ الذي يُعرف بابن السوداء، وهو يهودي من اليمن، أظهر الإسلام ليهدم من الداخل، ولا يُشكّ بأمره ما دام مسلماً على حين لو تكلم بأي شيءٍ وهو من غير المسلمين اشتُبه بأمره، ونُظر في شأنه.

رحل إلى الحجاز في أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفّان، رضي الله عنه، وأتى إلى المدينة المنورة ورأى تقدير المسلمين للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فاختار أحدهم وهو علي بن أبي طالبٍ، رضي الله عنه، بصفته ابن عمّ رسول الله ﷺ، وصهره، وأبا السبطين الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد قادتهم وشجعانهم، فتوجّه

نحوه، وأبدى تقديره، وأخذ يرفعه فوق الآخرين، ثم بدأ يبثّ أن عليّاً، رضي الله عنه، هو وارث رسول الله ﷺ، وهو الخليفة الشرعي بعده، ولكن اغتُصب حقه، ثم انتقل إلى مرحلةٍ تاليةٍ فأخذ ينشر سرّاً أن علياً رضي الله عنه، فوق مستوى البشر، ويُذيع ما تقوله النصارى في المسيح، عليه السلام، ليهدم في الإسلام، ويصل إلى هدفه، كما فعلت الأحبار والرهبان عندما حرّفوا النصرانية، وبدّلوا ما جاء به المسيح، عليه السلام.

ارتحل ابن السوداء إلى البصرة فالكوفة ليبثّ ما يهدف إليه، ثم انتقل إلى دمشق فأخرجه أهلها، فاتّجه إلى مصر، وجهر بأقواله، وطعن في الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد.

ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع عليّ قام إليه ابن سبأ فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق، فنفاه إلى ساباط المدائن. فلما علم عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن ابن سبأ قد فرّخ هناك إذ وجد جهلاً، كما وجد حقداً على الإسلام من أناسٍ أسلموا بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبهم، وتغلي العصبية في

داخلهم للمجوسية التي قضى عليها الإسلام، وعندها طلب عليّ، رضي الله عنه، ابن سبأ وقتله لكفره في بداية سنة أربعين للهجرة.

وجد أولئك الذين أسلمت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم في أقوال عبد الله بن سبأ أداةً جيدةً لإفساد العقيدة وكفى بهذا تهديماً، كما رأوا في تلك الأقوال وسيلةً ناجحةً لتفكيك المجتمع الإسلامي وكفى بهذا إضعافاً للمسلمين، وهذا غاية الأعداء: إفساد عقيدة المسلمين، وإضعاف قوّتهم، وتجزئتهم سياسةً فتبنّوا هذه الأقوال، غير أنهم لا يستطيعون الجهر بها ما دامت الخلافة قويةً، وما دام الوضع ثابتاً لا اهتزاز فيه ولا ترنّح، فكتموا أفواههم، وشحنوا قلوبهم حقداً، ولكن عقولهم لن تزول عنها المجوسية التي قضى عليها الإسلام، ودولتهم التي أزالها المسلمون من أركانها.

ظهر في هذه المرحلة رجل صاحب أطماع لا يعرف إلا الشهرة، ولا يرى أمامه سوى المكانة، ولا يعرف إلا الرفعة، فما من سبيلٍ سلكها إلا تلمّس فيها الطريق التي تصل به إلى الظهور، فيسير فيها ويسعى بالوسائل كلها لتوصله إلى الهدف الذي يسعى إليه، ذاك هو المختار بن أبي عبيد الثقفي.

ولد المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي في السنة الأولى للهجرة في الطائف، وأسلم أبوه في عهد رسول الله ﷺ، ولم تُعرف له صحبة. وكان عمه عروة بن مسعود أحد سادات الطائف، ومكانته في الطائف كمكانة الوليد بن المغيرة المخزومي في مكة، وهما الرجلان اللذان قال عنهما المشركون استكباراً وعناداً وبغياً لو أُنزل القرآن على أحدهما ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[١].

انتقل أبو عبيد الثقفي ومعه ابنه المختار من الطائف إلى المدينة في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وندب عمر، رضي الله عنه، المسلمين للجهاد بالعراق، فكان أبو عبيد أول من لبّى النداء، لذا أمّره على المجاهدين فسار إلى العراق، وقاتل الفرس في معركة النمارق، فهزمهم وولّوا الأدبار، فلاحقهم، وانتصر عليهم ثانيةً بعد أن جاءتهم قوة داعمة، ففرّ الفرس بعدها إلى المدائن. واجتمع الفرس إلى رستم فبعث بجيشٍ كثيفٍ إلى المسلمين فالتقى الطرفان وبينهما جسر، فقال الفرس: إما أن تعبروا إلينا أو نعبر

---

(١) سورة الزخرف: ٣١.

إليكم، فقال المسلمون لأبي عبيد: مرهم أن يعبروا إلينا، فقال أبو عبيد: ما هم بأجرأ منّا على الموت، بل نحن نعبر إليهم. ثم اقتحم الجسر إليهم، وجرت معركة عنيفة بين الطرفين، فقتل أحد الفيلة أبا عبيدٍ وبرك فوقه.

وطُرد المختار من المدينة إلى الطائف بعد استشهاد أبيه، وعاش هناك لا يُشارك في الجهاد، ولم يُعرف على الساحة التي كانت للمؤمنين وخاصةً بهم. وتزوّج عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما أخته صفية بنت أبي عبيد. ورجع المختار إلى المدينة، وسار مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلى العراق. وسكن البصرة بعد استشهاد عليٍّ، رضي الله عنه.

اهتزّ المجتمع الإسلامي بعد فاجعة كربلاء في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين التي قُتل فيها الحسين بن علي، رضي الله عنهما. واعتزل عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، في مكة، والعراق تغلي، والشام تنكمش، وإن بقيت الثغور كما هي مليئة بالمرابطين، وينطلق منها المجاهدون.

أراد المختار الثقفي أن يستغلّ الوضع في العراق

حيث كان الناس لا يرتاحون إلى أمير البصرة عبيد الله بن زياد بعد مقتل الحسين بن علي، رضي الله عنهما، فانحرف عنه المختار، وحاول التحرّك غير أن عبيد الله بن زياد كان حذراً منه، فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه، ونفاه إلى الطائف بشفاعة عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

وتوفي الخليفة يزيد بن معاوية في الشام، وبويع عبد الله بن الزبير في مكة، فنزل المختار إلى مكة وأبدى المناصحة لابن الزبير، كما كان يتردّد على محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بـ (ابن الحنفية)[1]، ثم استأذن المختار الثقفي عبد الله بن الزبير

---

(١) محمد بن علي، أبو القاسم، وأبو عبد الله: وهو أخو الحسن والحسين، رضي الله عنهما، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، وهي من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه. ويُنسب إلى أمه (الحنفية) تمييزاً عن الحسن والحسين، وهو أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، كان واسع العلم، إماماً، ورعاً، أسود اللون، وكان يقول: الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما.

ولد في المدينة في العام الذي مات فيه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وتوفي سنة إحدى وثمانين في المدينة أيضاً.

روى عن أبيه، وعثمان، وأبي هريرة، وعمار بن ياسر، =

بالارتحال إلى العراق، فركن إليه، وأذن له، وكتب إلى نائبه بالعراق عبد الله بن مطيع يوصيه به، فكان يختلف إلى ابن مطيع، ثم أخذ يعيب في الباطن عبد الله بن الزبير. وبدأ يلتقي مع الناقمين على قتلة الحسين، ويتظاهر بالدعوة إلى محمد بن الحنفية بصفته أخا الحسين بن علي، رضي الله عنهما. فالتفت حوله جماعة، فخرج على والي الكوفة عبد الله بن مطيع فغلب عليها، وقتل جماعةً من الذين كان لهم دور في قتل الحسين، رضي الله عنه، وكان منهم: عمر بن سعد، وشمر ذي الجوشن، وخولي بن يزيد. وداهن ابنُ الزبير فولّاه الكوفة فأرسل جيشاً بإمرة إبراهيم بن الأشتر إلى عبيد الله بن زياد فانتصر وقتله.

ودعا عبد الله بن الزبير في مكة محمد ابن الحنفية وعبد الله بن عباس إلى بيعته، فأبيا، وقالا له: حتى تتفق الأمة عليك، فاشتدّ عليهما، وحصرهما في شِعبٍ

= ومعاوية. وحدّث عنه بنوه: عبد الله، والحسن، وإبراهيم، وعون، ومحمد الباقر وآخرون.

وفد على معاوية، وعبد الملك بن مروان، وكانت الكيسانية تُغالي فيه، وتدعي إمامته، ولقّبه أفرادها بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت.

بمكة، فأرسل المختار عسكراً هاجم مكة، وأخرجهما من حصارهما، فانصرفا إلى الطائف.

وكان المختار الثقفي يدعو بإمامة محمد بن الحنفية، وإن كان محمد لا يوافقه بل يصدّه، كما أن المختار يدّعي أحياناً نزول الوحي عليه، ويتكلّم أحياناً أخرى بمعجزاتٍ لديه، ويفتري الكذب، وقد قال رسول الله ﷺ: (يكون في ثقيفٍ كذاب ومبير)[1].

وأما الذين أسلمت ألسنتهم ولم تُؤمن قلوبهم فإنه لا يُهمّهم إمامة علي بن أبي طالب، أو أحد أبنائه، والأمر سواء عندهم بين الحسن، والحسين، ومحمد ابن الحنفية، أو المختار الثقفي أو أي إنسانٍ آخر بل ينصبّ همّهم على التهديم فيظهرون قبول أي ادّعاءٍ ولو كان نزول الوحي، وإن إظهار قبول الادّعاءات من الرجال أنفسهم أو ممن يُعدّ أتباعهم ليؤدّي إلى الاختلاف، وبالتالي إلى الضعف وهو الجانب الثاني من اهتمام الأعداء والهدف الذي يسعون إليه.

وإذا كان أولئك الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا

(١) أخرجه مسلم: ٢٥٤٥، وأحمد،: ٢/٢٦. والترمذي: ٢٢٢٠ و٣٩٤٤ من حديث ابن عمر.

غيره يُبدون قبول تلك الادّعاءات، فإن هناك فئة من العامة والمغفّلين والبسطاء والجهلة قد يقبلون ذلك، ويدينون به، ويقاتلون من أجله، وهذا ما تمّ إذ شملت الكيسانية التي تنسب إلى المختار الثقفي حيث كان يُلقّب هو بـ«كيسان» شملت أفراد من فئاتٍ شتى، وشعوبٍ عدة.

وأخيراً كلّف عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، أخاه مصعب أمير البصرة أن يخضد شوكة المختار الثقفي، فحشد له جيشاً، وسار إليه، وتمكّن من قتله سنة سبعٍ وستين.

ولكن إن مات المختار فإن تابعيه في إمامة ابن الحنفية قد بقوا على عقيدتهم سواء أكان ذلك ظاهراً أم عقيدةً، فلما مات محمد ابن الحنفية قال الذين يدّعون إمامته، ويقولون عنه ما يقولون، قالوا: إنه لم يمت بل هو حيّ في جبل رضوى عنده عسل وماء، وقد قال كثير عزّة، وهو أحد أتباع الكيسانية:

ألا إن الأئمة من قريشٍ
ولاة الحقّ أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنيه
هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سِبط إيمانٍ وبِرٍّ
وسبط غيّبته كربلاء
وسِبط لا تراه العين حتى
يقود الخيل يقدمها لواء
تغيّب لا يُرى عنهم زماناً
برضوى عنده عسل وماء

وفيه يقول السيد الحميري[1]:

ألا قل للوصي فدتك نفسي
أطلت بذلك الجبل المقاما
أضرّ بمعشرٍ والوك منّا
وسمّوك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرّاً
مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موتٍ
ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى
تراجعه الملائكة الكلاما

---

(١) السيد الحميري: إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري، أبو هاشم: من فحول الشعراء، لكنه كيساني، واجتمع بجعفر الصادق، فبيّن له الصادق ضلالته. توفي في خلافة عبد الملك بن مروان.

وإنّ لـه بـه لَـمـقـيـلَ صـدقٍ
وأنـديـةً تُـحـدّثـه كـرامـا

هـدانـا الله إذ حـزتـم لأمـرٍ
بـه وعـلـيـه نـلـتـمـس الـتـمـامـا

تـمـام مـودة الـمـهـديّ حـتـى
تـروا رايـاتـنـا تـتـرى نـظـامـا

وللسيد الحميري أيضاً:

بان الشباب ورقّ عظمي وانحنى
صدر القناة وشاب مني المفرق

يا شِعب رضوى ما لمن بك لا يُرى
وبـنـا إلـيـه مـن الـصـبـابـة أولـق

حتى متى؟ وإلى متى؟ وكم المدى
يـا ابـن الـوصـيّ وأنـت حـيّ تـرزق

ولم يكن ابن الحنفية (أبو القاسم)[1] يرضى بهذا،

---

(١) أبو القاسم: كنية محمد ابن الحنفية. وقد كانت رخصة لعليّ قال: يا رسول الله إن وُلد لي ولد بعدك أسمّيه باسمك وأكنيه بكنيتك، قال: (نعم).
قال الزهري: قال رجل لابن الحنفية: ما بال أبيك كان يرمي بك في مرامٍ لا يرمي فيها الحسن والحسين؟ قال: لأنهما كانا عينيه وكنت يده، فكان يتوقّى بيديه عن عينيه.

بل يرده إن سمعه فقد كان كثير العلم، ورعاً. فلما توفي سنة إحدى وثمانين أسرع أصحاب الأغراض إلى ابنه الأكبر عبد الله[1]، وأخذوا يوسوسون له، ولم يكن كأبيه علماً وورعاً، فركن إليهم قليلاً إذ كان يستمع من طرفٍ واحدٍ، كما يرى في المجتمع شيئاً من عدم الراحة، فاستمع إذ وجد ما يتفق مع هواه، وسار مع ركب الذين أسلمت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وأخذ يبثّ ما يسمع من أقوالٍ عن الخلفاء من بني أمية، حتى كانت له جماعة تغالي فيما تقول وتبتدع، وتفتري حوادث تنسبها إلى أولي الأمر، فشُحن الرجل حقداً، وملئ غيظاً.

وأحسّ بدنوّ أجله، وحار في أمره، أيدع الأمر على حاله، ويترك الأمر على غاربه أم يحمّل المسؤولية لآخر قبل أن يُودّع دنياه؟ لم يجد في إخوته من هو أهلاً لذلك ـ حسب قناعته ـ لكن خطر على باله رجل في

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب، أبو هاشم: أمه أم ولد، ليس له عقب، مات سنة ثمان وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك، عند محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقد أوصاه بالعمل لبني هاشم، فقام بالأمر.
روى عن أبيه حديث تحريم المتعة، وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار.

الكفاءة والأهلية أن يسلّمه الجماعة التي نُسبت إليه، وعملت معه لصالح آله وضد خصمه، وذاك هو ابن عمه: محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[1] الذي يقيم في بلدة (الحميمة)[2]. فأقام عنده، وقدّم له كتبه، وأعطاه أخبار جماعته، وطلب منه العمل لبني هاشم فإن الأمر سهل، ولم يلبث أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية أن توفي في الحميمة عند محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وذلك سنة ثمانٍ وتسعين. وكان أبو هاشم قبل أن يموت قد أخبر رؤوس جماعته بأنه سيوكل الأمر إلى محمد بن علي وذلك لتطمئن النفوس، وتتوفّر الثقة، ويُعرف المرجع.

وما أن توفي أبو هاشم حتى أسرع المغرضون إلى محمد بن علي، وأخبروه أن وفاة أبي هاشم إنما كانت نتيجة دسّ السم له، إذ أرسل الخليفة سليمان بن

---

(١) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: ولد بالحميمة من أعمال الأردن سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد بن معاوية، نظم عمل الدعوة لبني العباس، وتوفي سنة خمس وعشرين ومائة. وكان طويلاً ومن أجمل الناس. وهو والد الخليفتين: السفاح والمنصور.

(٢) الحميمة: تصغير الحمّة، بلد من أرض الشراة من أعمال معان في جنوبي الأردن.

عبد الملك رجلاً وضع له السمّ في الطعام. وهدف هذه الفرية أن توغر صدر محمد بن علي على الخليفة، وأن تزيد نقمته على بني أمية لهذه الأساليب، وخاصةً أنه ضيفه. والفرية إنما هي من الوسائل التي يتّخذها المغرضون للاقتراب من هدفهم وهو تفرقة المسلمين، والعمل على تهديم العقيدة.

الدعوة العباسية:

فكّر محمد بن علي في المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه، فوجد أن الابتعاد عن الإسلام قد بدأ يظهر فعلاً على الأمة، وربما يجري الحديث بين الناس في جلساتٍ خاصةٍ عن الشورى، والوراثة.

كما يدور الحديث أحياناً عن وقف الجهاد، وأن الغزو قد حلّ محلّ الجهاد، وأن الهدف من الغزو قد أصبح للحصول على الغنائم، وأخذ السبي، وتأديب الذين ينقضون العهد. وأن مهمة المسلمين في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام قد توقّفت.

وأن الناس قد شغلتهم أموالهم وأهلوهم، وقد أخلدوا إلى الأرض، ونسوا الأساس الذي وُجِدوا من أجله، والأمر المناط بهم في الحياة. واتّجهوا نحو زينة الدنيا التي جاءتهم نتيجة الفتوحات.

وأن شخصية المسؤولين قد تبدّلت فغدت ضعيفةً لأن أصحابها تركوا مهماتهم الأساسية والتفتوا إلى دنياهم يغبون منها، ويلهون، فتعطّلت أمور أساسية، وغدت الرعية تُقلّد رعاتها، وضعفت الأمة، وضعفت هيبتها في نفوس الأعداء حتى غدوا ينقضون عهودهم، ويتجرّؤون على غزو أطراف ديار الإسلام، وقد يُغيرون عليها بقصد السلب والنهب وانتهاك الحرمات، بعد أن كانوا يتهيّبون المسلمين، ويخافون الاقتراب من ثغورهم، ويخشون استفزازهم.

وإن العصبيات قد أخذت تظهر ويتفاقم خطرها، فتبرز في منطقةٍ وما أن يُقضى عليها حتى تتحرّك في منطقةٍ ثانيةٍ، وتُلهب ما حولها، وتُثير ما يُجاورها.

رأى محمد بن علي أن الحالة إذا بقيت على ما هي عليه فإن الوضع خطير بل سيزداد تردّياً، وسيتفاقم الأمر، وسيسير بالأمة إلى الضعف، وسيطمع بها الأعداء الذين يتربّصون بها الدوائر، وسيهاجمونها، وستقع المصيبة. ونكون قد فرّطنا بواجباتنا، ونتحمّل مسؤولية السكوت عن الباطل، والتقاعس عن العمل. إذن لا بدّ من العمل.

كان من واجب العمل البدء بقول الحق،

والنصح، والتنبيه إلى الخطر القادم غير ما في نفسه عن المسؤولين لأغلاطهم. ورؤية المتحرّكين نحو أهدافهم، وتشجيعه، ونقل الأكاذيب، كل ذلك لفت نظره عن الطريق المستقيم ومشى في دربه الذي هو فيه.

لم ينتبه محمد بن علي إلى أن هؤلاء الذين يتحرّكون معه، وينقلون له الأخبار، ويُظهرون الغيرة على الدين، ويُبدون المحبة الزائدة لآل بيت رسول الله ﷺ، ليس فيهم رجال دعوة، ولا أهل علمٍ، ولا أصحاب صلاحٍ وتقوىً، وليسوا من ذوي النصح، غير أن نشاطهم قد حوّل وجهه عن جوانب الخير إلى الجانب الذي يعمل فيه، والذي بناه على الخير الذي يراه.

لم ينظر محمد بن علي إلى أصول كثيرٍ من الذين يسيرون معه لما فيهم من حيويةٍ ودقةٍ في العمل، وتنظيمٍ في الحركة، وهدوءٍ في النشاط، وسريةٍ في الانتقال، وإن كان هذا أمراً طبيعياً، فمن كان ذا هدفٍ فإن هدفه يدفعه إلى الحيوية في العمل والنشاط باستمرار، ومن كان له غرض خبيث أتقن الحركة، وأجاد الإخفاء، وأحسن التنظيم، وتفنّن في الكتمان، وهل هناك غرض أكثر خبثاً من محاولةٍ لإفساد عقيدةٍ،

وإيقاع فتنةٍ، وبثّ خلافٍ من أناسٍ يُظهرون غير ما يُبطنون، ويُعلنون غير ما يُخفون. غير أن الخط الذي سار فيه محمد بن علي قد غطّى عليه كل ما يجب أن يأخذه بالحسبان، وأعمى عليه كل ما تخفيه هذه النفوس الشريرة، الحاقدة المتعصّبة، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. وإذا أراد الله أمراً هيّأ له الأسباب، وسخّر له الوسائل.

ومشى محمد بن علي في الدرب يُفكّر بالإخلاص، وينوي الإصلاح إذ يرى القضاء على الفساد بإزالة أسبابه، والعودة إلى الحق بانتهاج شرعه، والثبات عليه بالاستقامة على سبيله وشُغل عن أنّ البعد عن العشيرة أساس العمل، وأن هذا الذي يُنتقد به بنو أمية، وليس هناك من فرقٍ بين بني هاشمٍ وبني أمية فكل منهما عشيرة، وكل منهما من بني عبد مناف، غير أن الشيطان يأتي إلى الإنسان من زاويةٍ تُبعده عن الحق، وتنأى به عن الطريق المستقيم، فيزيّن له الشيطان أن عشيرته هي العصبية التي يعتمد عليها، وهي التي تقوّي مركزه، وهي موضع ثقته. وكذلك فإن شياطين الإنس يعودون به إلى الجاهلية، والتنافس بين بني هاشمٍ وبني أمية، وها هو الأمر لا يزال كذلك،

وشُغل محمد بن علي عن أن الجاهلية قد انتهت، وأن الإسلام قد قضى عليها، والإسلام يجبّ ما كان قبله.

ويعود شياطين الإنس من أصحاب الأغراض والذين أسلمت ألسنتهم ولم تُؤمن قلوبهم ليوسوسوا أن بني هاشمٍ أفضل من بني أمية، فرسول الله ﷺ من بني هاشم، ويذكرون دور علي بن أبي طالب، وأخيه جعفر، وعمّه العباس بن عبد المطلب في الدعوة والجهاد، ويذكرون بالمقابل أفراداً من بني أمية قبل إسلامهم ودورهم السلبي في مواجهة الدعوة ومعاداتهم للإسلام، ولا يتعرّضون لما قدّموا بعد إسلامهم. ويسكتون عن أبي لهبٍ من بني هاشمٍ، وما يذكر القرآن عنه. ويُشغل محمد بن علي عن أن المساواة بالإسلام وتقديم التقي دون النظر إلى أصله وموقفه قبل الإسلام ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، وأنه يجب العمل بالإسلام دون النظر إلى الجاهلية.

ولكن أولئك الذين أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم قد كذبوا على رسول الله ﷺ، وافتروا أحاديث على لسانه، ﷺ، تخدم أغراضهم، وتحقّق أهدافهم،

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

فادّعوا قول أحاديث توصي لفلانٍ، وأخرى ترفع فلاناً فوق الآخرين على حين أن الإسلام ليس فيه وصاية لأحدٍ، ولا ينفع نسب بل الإيمان هو الذي ينفع، فابن نوحٍ لم ينفعه نسبه، وأبو لهبٍ لم تُفده قرابته. وإذا كانت أكثر الأحاديث المفتراة قد ركّزت على عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، بصفته صهر رسول الله ﷺ، زوج فاطمة، رضي الله عنها، وأبا السبطين الحسن والحسين، رضي الله عنهما.

لكن المغرضين الذين أسلمت ألسنتهم ولم تُؤمن قلوبهم لا يُهمّهم عليّ كما لا يُهمّهم العبّاس، وما يُظهرونه من محبةٍ ومغالاةٍ فيهما فهو كذب وخداع، بل تهمّهم الفتنة؛ فهم يُوجّهون سهامهم على الذين يتسلّمون الخلافة بصفتهم يمثّلون الإسلام. لقد وجّهوا سهامهم على بني أمية فلما ظهرت الدعوة العباسية أظهروا انحيازهم إليها وتأييدهم لها، فلما تمّ الأمر، وتسلّم بنو العباس الخلافة، أظهر المغرضون لهم العداء، ونسوا ما كانوا يدعون له بالأمس، وأبدوا وقوفهم بجانب أبناء عليّ، وشجّعوهم على القيام بحركاتٍ لتكون فتنة، وليختلّ المجتمع الإسلامي، وتضعف الأمة. ووجّهوا السهام ـ التي كانوا يُوجّهونها إلى بني أمية ـ إلى بني

العباس. ولو تسلّم أبناء عليّ الخلافة لوجّهت لهم السهام نفسها، بل وأشدّ منها بصفتهم خلفاء يُمثّلون الإسلام.

بدأ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العمل للدعوة له في سنة مائة، فوجّه إلى العراق ميسرة، ووجّه محمد بن خنيس، وأبا عكرمة السراج[1]، وحيان العطار إلى خراسان، وأمير خراسان يومذاك الجراح بن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز. وأمرهم محمد بن علي بالدعاء له ولأهل بيته.

أخذ النشاط بالعمل مجراه حيث توجد عناصر كثيرة مشحونة بالعصبيات وممن يُظهرون الإسلام، ويُبطنون غيره، ويحملون ماضي قومهم في عقولهم. ولقي العمل في أوّله إحجاماً من الناس بسبب الخوف، ومحاولة التستّر، ثم انطلق، وقد كتب رجال خراسان كتباً إلى محمد بن علي يذكرون فيها ما لقوا من أمر الدعوة ومن استجاب لهم، وأرسلوا هذه الكتب إلى ميسرة بالعراق فبعث بها بدوره إلى محمد بن علي بالحميمة.

---

(١) أبو عكرمة السّراج: هو أبو محمد الصادق. وأكثر هذه الأسماء غير صحيحة إذ هي أسماء حركية.

اختار أبو عكرمة السراج اثني عشر من النقباء إلى محمد بن علي، وهم:

١ ـ سليمان بن كثير الخزاعي.

٢ ـ لاهز بن قريظ التميمي.

٣ ـ قحطبة بن شبيب الطائي.

٤ ـ موسى بن كعب التميمي.

٥ ـ خالد بن إبراهيم أبو داود، من بني عمرو بن شيبان بن ذُهْل.

٦ ـ القاسم بن مجاشع التميمي.

٧ ـ عمران بن إسماعيل أبو النجم، مولى آل أبي مُعيط.

٨ ـ مالك بن الهيثم الخزاعي.

٩ ـ طلحة بن رُزيق الخزاعي.

١٠ ـ عمرو بن أعين، أبو حمزة، مولى لخزاعة.

١١ ـ شبل بن طهمان، أبو علي الهرويّ، مولى لبني حنيفة.

١٢ ـ عيسى بن أعين، مولى لخزاعة.

وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثالاً وسيرةً، يقتدون بها ويسيرون عليها.

ووجّه ميسرة رسله من العراق إلى خراسان سنة اثنتين ومائة، وظهر أمر الدعوة بخراسان، فجاء رجل من بني تميم يقال له: عمرو بن بجير بن ورقاء السعدي إلى أمير خراسان سعيد خذينة، فقال له: إن هاهنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح، فبعث إليهم سعيد، فأُتي بهم، فقال: من أنتم؟ قالوا: أناس من التجار. قال: فما هذا الذي يُحكى عنكم؟ قالوا: لا ندري. قال: جئتم دعاةً؟ فقالوا: إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شُغلاً عن هذا، فقال: من يعرف هؤلاء؟ فجاء أناس من أهل خراسان، جلّهم من ربيعة واليمن، فقالوا: نحن نعرفهم، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه، فخلّى سبيلهم[1].

وفي سنة عشرين ومائة وصلت إلى أسماع رجل يعرف باسم عمار بن يزيد، ويلقب بـ(خُداش) وصلت إلى أسماعه أخبار محمد بن عليّ ودعوته، وانتشارها في خراسان، فارتحل إلى هناك، ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي فتجاوب معه كثيرون، وساروا معه، فلما

---

(١) تاريخ الطبري.

التفّوا حوله دعاهم إلى الزندقة فقبلوا منه، وأباح لهم نساء بعضهم بعضاً فرضوا بذلك، وادّعى لهم أن هذا مبدأ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فوافقوا، وقد سبق أن ذكرنا أن هؤلاء لا يهمّهم دين، ولا خُلُق، ولا يحبّون علياً ولا العباس، ولا أبناء هذا ولا ذاك بل لا يُفرّقون بين آل البيت وغيرهم، ولا بينهم وبين بني أمية، ويظهرون محبة آل البيت ويُغالون في ذلك ليتاجروا بها، وليصلوا إلى أهدافهم منها، وهي تهديم عقيدة الإسلام، والفتنة بين المسلمين لإضعاف قوّتهم ثم الانقضاض عليهم ثأراً، وحسداً، وحقداً، وعقيدتهم الحقيقية هي ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم قبل الإسلام، وقد أظهروا الإسلام، وأبطنوا ما هم عليه خوفاً من السيف أولاً وتخطيطاً وخبثاً للتهديم من الداخل، فأسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وتاجروا بمحبة آل البيت، ويمكنهم محبة أية جماعة والمغالاة بذلك وتأييد كل مارقٍ والسير وراء كل ناعقٍ في سبيل إحداث الفتنة، وإضعاف المسلمين، ويرتكبون المنكرات ويضحّون بالمحارم في سبيل أهدافهم البعيدة التي يسعون إليها. وهاهم يتبعون خُداشاً للفتنة ولإفساد العقيدة بما دعاهم إليه.

وصل خبر خُداش وأتباع مُدّعي محبة آل البيت إليه والسير معه على باطله وفساده وكفره، وصلت هذه المعلومات إلى محمد بن علي فغضب في نفسه، وعتب على جماعته فترك مكاتبتهم، فلما أبطأ عليهم كتابه اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم، فأجمعوا على الرّضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم، ويخبره عنهم، ويرجع إليهم بما يردّ عليه. فقدم سليمان بن كثير على محمد بن عليّ وهو متنكر لمن بخراسان من شيعته، فأخبره عنهم، فعنّفهم في اتباعهم خُداشاً، وما كان دعا إليه، وقال: لعن الله خُداشاً ومن كان على دينه، ثم صرف سليمان بن كثير إلى خراسان، وكتب إليهم معه كتاباً، فقدم عليهم، ومعه الكتاب مختوماً، ففضّوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئاً إلّا «بسم الله الرحمٰن الرحيم، تعلموا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرّميّ»، فعلموا أن ما كان خُداش أتاهم به لأمره مخالف. فأظهروا الندم، وأبطنوا الثبات على ما هم عليه.

ثم وجّه محمد بن علي إلى جماعته بخراسان بُكير بن ماهان بعْد منصرف سليمان بن كثير من عنده إليهم، وكتب معه إليهم كتاباً يعلمهم أن خُداشاً حملهم على غير منهاجه، فقدم عليهم بُكير بكتابه فلم يُصدّقوه

واستخفّوا به، فانصرف بُكير إلى محمد بن علي فبعث معه بعصاً مضبّبة بعضها بالحديد وبعضها بالشبه فقدم بها بُكير، وجمع النقباء وأتباعهم، ودفع إلى كل رجلٍ منهم عصاً، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته، فأظهروا الرجوع والتوبة ـ والله أعلم بهم ـ.

توجّه سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، ولاهز بن قريظ، وقحطبة بن شبيب من خراسان، وهم يريدون مكة في سنة أربع وعشرين ومائة، فمرّوا على الكوفة فلما دخلوها أتوا عاصم بن يونس العجلي، وهو في الحبس، قد اتّهم بالدعاء إلى ولد العباس، ومعه عيسى وإدريس ابنا معقل، حبسهما يوسف بن عمر الثقفي فيمن حبس من عمّال خالد بن عبد الله القسريّ، ومعهما أبو مسلم الخراساني يخدمهما، فرأوا فيه العلامات، فقالوا: من هذا؟ قالوا: غلام معنا من السرّاجين ـ وكان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلّمان في هذا الرأي فلما سمعهما بكى ـ فلما رأوا ذلك منه دعوه إلى ما هم عليه، فأجاب وقَبِل. واشترى بُكير بن ماهان أبا مسلم الخراساني بأربعمائة درهمٍ، وخرج به معه.

وكان النقباء في الدعوة يجمعون خمس الأموال

من أتباعهم، ويحملونها إلى الإمام، وهو يتصرّف في إنفاقها على بثّ الدعاة، وما يرى المصلحة فيه. وكان الحرص على تنفير الناس من بني أمية وعمّالهم، والدعوة إلى بني العباس.

وتوفي محمد بن علي سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وأوصى من بعده لابنه إبراهيم بن محمد[1].

---

(١) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: ولد في الحميمة من أرض الشراة من أعمال الأردن وذلك سنة اثنتين وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان. وعندما آلت إليه رئاسة الدعوة بعث أبا مسلم الخراساني مسؤولاً عن دعاته في خراسان، اكتشف أمر إبراهيم فقبض عليه وسجنه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في سجن حرّان ثم قتله عام واحد وثلاثين ومائة، وكان قد أوصى من بعده لأخيه أبي العباس السفاح.

الخاتمة

مع الجولة السريعة في خلافة هشام بن عبد الملك لاحظنا أنه كان دقيقاً في حساباته، ينفق نفقة الذي يشعر بالمسؤولية، فلا يُعطي أحداً من بني مروان عطاءه دون غزوٍ، ولا يقدّم لأهله وأبنائه أي مبلغٍ دون سؤالٍ وتحقيقٍ، ومن ماله الخاص بل كان أقرب إلى البخل، ولا يمسّ بيت مال الأمة.

لم تكن عنده الشجاعة الكافية في مواجهة الكتائب، ويشعر بنقصٍ في نفسه من هذا الجانب، لذا أعدّ أبناءه للجهاد، وعلّمهم على القتال فمشوا في مقدمة الجيوش، وقادوا الصوائف، وأحرزوا النصر، وكانوا القدوة للجند، وأعلاماً في المجتمع.

كان يخشى الله في كل أمرٍ، وما يذكر الموت حتى ينهمر الدمع من عينيه، لذا لم يكن يصل إليه كتاب من أمرائه وولاته فيه ذكر الموت حرصاً على الخليفة وراحته، وكفى بالموت واعظاً، وكفى بالنفس محاسباً.

كان يستمع إلى النقد، ويرجع إلى الحق، ويقبل

المحاسبة، ويرضخ للصواب ولو كان المُسائل مولىً له، ويسكت أمام العدل ولو كان في الكلام جرح له، فالحلم من صفته، وبه عُرف.

ومع ما كان تحت يديه فإنه كان عفيفاً، يبتعد عن السفاسف، وينصرف عن اللّهو، ولا يُعطي نفسه هواها، ولا يترك لها عنانها ترتع حيث تهوى، وتغبّ مما تشتهي.

وهذه الصفات التي تمتع بها كلها حميدة، غير أنه لم يُعط حقه حسبها، وفي الوقت نفسه لم تُسلّ عليه السيوف القاطعة ولا السهام المسمومة، كما وُجّهت إلى غيره ممن أحسن وممن أساء، كانت تُوجّه إلى الخلفاء عامةً بصفتهم يمثّلون الإسلام.

وإذا كان هشام بن عبد الملك لم يأخذ مكانه في التاريخ في هذه الحياة الدنيا، فإن يوماً قادم لا يضيع فيه عمل عاملٍ من ذكرٍ أو أنثى، وسينال كل مخلوق حسبما كسب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

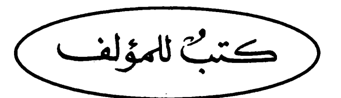
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتوى

الباب الثاني
هشام بن عبد الملك

الموضوع	الصفحة

* * *



مواطن الشعوب الإسلامية

أ ـ في آسيا :

١ ـ تركستان الغربية.

٢ ـ تركستان الشرقية.

٣ ـ قفقاسيا.

٤ ـ باكستان.

٥ ـ أندونيسيا.

٦ ـ اتحاد ماليزيا.

٧ ـ فطاني.

٨ ـ المسلمون في قبرص.

٩ ـ المسلمون في الفيليبين.

١٠ ـ جزر المالديف.

١١ ـ أفغانستان.

١٢ ـ تركيا.

١٣ ـ إيران.

١٤ ـ شبه جزيرة العرب.

أ ـ عسير.

ب ـ نجد.

ج ـ الحجاز.

د ـ البحرين.

١٥ ـ المسلمون في الهند الصينية.

ب ـ في إفريقية :

١ ـ غينيا.

٢ ـ نيجيريا.

٣ ـ الصومال.

٤ ـ موريتانيا.

٥ ـ أريتريا والحبشة.

٦ ـ تشاد.

٧ ـ تانزانيا.

٨ ـ السنغال.

٩ ـ أوغندة.

١٠ ـ ليبيا.

١١ ـ السودان.

١٢ ـ جزر القُمُر.

١٣ ـ المسلمون في بورندي.

١٤ ـ مالي.

١٥ ـ سيراليون.

بناة دولة الإسلام

المجموعة الأولى:

١ ـ أبو سبرة بن أبي رهم.
٢ ـ أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي.
٣ ـ عبد الله بن جحش.
٤ ـ الزبير بن العوام.
٥ ـ زهير بن أبي أمية.
٦ ـ سهيل بن عمرو.
٧ ـ سعد بن معاذ.
٨ ـ عباد بن بشر.
٩ ـ محمد بن مسلمة.
١٠ ـ أسيد بن الحضير.

المجموعة الثانية:

١١ ـ الفضل بن العباس.
١٢ ـ جعفر بن أبي طالب.
١٣ ـ عبد الله بن الزبير.
١٤ ـ عبد الله بن حذافة.
١٥ ـ المقداد بن عمرو.
١٦ ـ عقيل بن أبي طالب.
١٧ ـ صخر بن حرب.
١٨ ـ زيد بن حارثة.
١٩ ـ أبو العاص بن الربيع.
٢٠ ـ ثابت بن قيس.

المجموعة الثالثة:

٢١ ـ العباس بن عبد المطلب.
٢٢ ـ سعد بن الربيع.
٢٣ ـ عبادة بن الصامت.
٢٤ ـ عبد الله بن رواحة.
٢٥ ـ أبو حذيفة بن عتبة.
٢٦ ـ سالم مولى أبي حذيفة.
٢٧ ـ أبو عبيدة بن الجراح.
٢٨ ـ سعيد بن زيد.
٢٩ ـ سعد بن عبادة.
٣٠ ـ قيس بن سعد.

المجموعة الرابعة:

٣١ ـ مصعب بن عمير.
٣٢ ـ كعب بن مالك.
٣٣ ـ أبو أيوب الأنصاري.
٣٤ ـ سعد بن أبي وقاص.
٣٥ ـ حمزة بن عبد المطلب.
٣٦ ـ عاصم بن ثابت.
٣٧ ـ عبد الله بن عبد الله بن أُبي.
٣٨ ـ طلحة بن عبيد الله.
٣٩ ـ أبو طلحة زيد بن سهل.
٤٠ ـ أبو دجانة سماك بن خرشة.

المجموعة الخامسة:

٤١ ـ عمرو بن العاص.
٤٢ ـ عكرمة بن عمرو بن هشام.
٤٣ ـ شرحبيل بن حسنة.
٤٤ ـ أبو موسى الأشعري.
٤٥ ـ عياض بن غنم.
٤٦ ـ جرير بن عبد الله البجلي.
٤٧ ـ المثنى بن حارثة الشيباني.
٤٨ ـ خالد بن الوليد المخزومي.
٤٩ ـ عدي بن حاتم الطائي.
٥٠ ـ ثمامة بن أثال.

المجموعة السادسة:

٥١ ـ خباب بن الأرت.
٥٢ ـ صهيب بن سنان.
٥٣ ـ بلال بن رباح.
٥٤ ـ عمار بن ياسر.
٥٥ ـ عامر بن فهيرة.
٥٦ ـ مرثد بن أبي مرثد.
٥٧ ـ سلمان الفارسي.
٥٨ ـ أبو ذر الغفاري.
٥٩ ـ عبد الله بن مسعود.
٦٠ ـ عبد الرحمن بن عوف.

المجموعة السابعة:

٦١ ـ أنس بن مالك.
٦٢ ـ البراء بن مالك.
٦٣ ـ جابر بن عبد الله.
٦٤ ـ الطفيل بن عمرو الدوسي.
٦٥ ـ أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر.
٦٦ ـ أبو أمامة أسعد بن زرارة.
٦٧ ـ عتبة بن غزوان.
٦٨ ـ معاذ بن جبل.
٦٩ ـ زيد بن ثابت.
٧٠ ـ أُبيّ بن كعب.